فريدة

صفية منصور

دار الكنزي النشر والتوزيع

دار الكنزي للنشر والتوزيع

فريدة

تأليف: صفية منصور

تصميم غلاف : أحمد صلاح المهدي

إشراف عام: محمد صلاح شديد

إيناس الدسوقي

رقم الإيداع: 27880 / 2016

الرقم الدولي: 1- 16- 6599 – 977 - 978

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: يناير 2017

All Rights Reserved

Alkanzy for Publishing and Distribution

+2 01146312878

Alkanzy.co@gmail.com

Facebook.com/Alkanzy.com

إهداء

إلى سندي الذي لا يُشترى بمال و لا يقدره إلا قلب
محب مُخلص مهما أعطاك لن يوفيك حقك

إلى أمي

حفظك الله لي و أدام شعلتك بيننا

إهداء

إلى روح أبي الغائبة

أنا في إنتظارك

إهداء

إلى أستاذي و أبي الروحي .. زرعت بذورا خصبة في أجيال و حان وقت حصادها أعترف لك بالجميل و مدينة لك بسعادة تلك الليالي التي سبحت فيها عبر كتاباتك

د.أحمد خالد توفيق

إهداء

لكل الأدباء الذين تأدبوا بالأدب .. و لكل العقلاء الذين تزينوا بالعقل

لكل من أذاقنا الألم ... شكرا

{ في حياة كل إنسان لحظة ..لا تعود الحياة بعدها كما كانت قبلها }

أحمد خالد توفيق

من رحم النهايات تولد البدايات ..

فلعل نهاية حزينة هي بداية سعيدة لقصة جديدة و بطل القصتان واحد

فلا بد من إختبار الموت للبعث ... و متعة الألم أنك تختبر بعده لذه الراحة

و لكنني صدقاً... لا أعلم ..هل هذه نهاية البداية أم بداية النهاية؟

هل هي آخر قصة موجعة أكتبها ؟!

صفية منصور

حانت منها إلتفاتة صغيرة لعينيه وهو يتكلم مع أبيها

لم ترتح أبدا ....

دقات قلبها أصدق أصدقائها

و صديقها يهمس لها أن تطلق سيقانها للريح و تنفذ بما تبقى لها من كرامة و أحلام

و من فورها بدأت تنفيذ الخطة ... أنزلقت بنعومة من على الكرسي المُذهب و يَممت وجهها شطر الهروب ...

كادت تزيح تلك الستارة الرقيقة المرتخية على باب غرفة الصالون و فجأة توقفت

لمَحَت جسدا حاول الإختباء خلف الستائر لكن نسمات الربيع فضحت وجوده

جسدها مخبأ و عينيها تتلصص الموقف ... عينان تقمع دمعة رجاء لله

عين أمها !

و سمعت همساتها و هي تلهج بخفوت بالدعاء لله أن يشرح صدرها و توافق على (العريس) المتقدم و أن يعوضها عن ما فات.

دعوات و دموع أم كل أمانيها أن تطمئن ان أبنتها لا تحمل شهادة الوفاة الحياتية ... لقب العيب و المذلة (مطلقة) !!

رغم أنها من هرِبَت و تخلصت من ذاك المدعو رجلا إلا أنها أصبحت موصومة بعار لا يحتويه مجتمع و لا يرحمه إلا رب .

عادت أدرجها ...

و تسمرت على كرسي الصالون الذهبي العريق مفتعلة إبتسامة سعادة كاذبة و ابتلعت إرادتها مع ريقها المر.

إلتفاتة أخرى للعريس ورأت عينيه تجوب جسدها ذهابا و إيابا بنفس طريقة جزار البقرة.

شعور خفيف بدوار انتابها و رغما عنها تنحنحت و اعتدلت في مجلسها و هنا قفز ال(عريس) مظهرا إهتماماً مرعباً تجاهها و بدأ يوجه لها كلاماً مباشراً بحميمية مفتعلة ...

فريدة .. كلميني عن نفسك !

و هنا قرر أبوها ترك المجال لعل شرارة الأمل تدب بينهما و لتُزقزق عصافير الحب البرازيلية و (لكي تكونوا على راحتكم) و هرول مختبئاً خلف ستار الآباء المجروحين!

فريدة : أفندم ؟!

هو : حدثيني عن نفسك .. من لحظة دخولك رأيت وجهاً جميلاً وإبتسامة هادئة و لم أسمع منك كلمة ...طبعاً أنا علمت سابقا مجال دراستك و عملك و تجربتك الزوجية السابقة و تعرفت على أسرتك .. على العموم أنا سأعرفك عني بوضوح أكثر ...

أنا المهندس هيثم أحمد سليمان .. أعمل بمجال التنكلوجيا و الإتصالات ابن بلدة مصرية طيبة .. يتيم الأم .. كنت متزوجا من .....

شردت فريدة

لم تعد تسمعه و لا تراه .... ذاب من أمامها ..

رأت البحر ثائراً و ظلمة ليل بهيم تحتويها .. تجردت من حذائها و ملابسها و أحمالها و ألحان صافية تدغدغ إحساسها.... ذرات رمل تداعب باطن قدميها .

تسير و لا تهتم .. برودة الهواء أدفأ من عالمها الذي تركت

تُسارع الخطى و روحها عطشى لملامسة زبد الموج كما اعتادت لتذيب آلامها فيه و كلما داعبتها رائحته كلما ازدادت خطاها تسارعا حتى ...

تصطدم !!!

حاجز لا مرئي منصوب بينها و بين رغاوي الزبد الشقية ...!

بينها و بين البحر كله ..!

تحاول بقوة مرات و مرات و كل مرة تُصَد و لا تدري ما المانع!

ما الذي يعيقها لتغتسل بماء البحر الطاهر و فيه تذيب همومها و تطيب جراحها.

تتحسس هذا العازل لترى أبعاده و منتهاه ..و قبل أن تصل لنتيجة ذاب المكان كله و عادت إلى مكانها على كرسي الأميرات الحزين في صالون بيتها وكأن يديها مكبلة بقوائمهِ..!

كان الرجل محدقا بها منتظرا دورها في الإجابة عن اسئلة المقرر كله و كل الأسئلة إجبارية...ابتلعت ريقها.. تنحنحت و بصوت مرتهب بدأت تقول ..

فريدة فاضل مختار .

فريدة فاضل مختار .. صبية الخمس و عشرون ربيعا مرحة صاحبة ضحكة صادقة وعيون حماسية .. بكرية عائلة الجراح المشهور فاضل مختار و الدكتورة نهى إبنة أسرة إبراهيم الأمين الشرقاوية العريقة.

وارثة أجمل ملامح أمها بعيونها البُنية ناعمة الزوايا و الأنف الرفيع المرتسم والشفتان الممتلئتان كلهم في برواز من وجه أبيض مستدق الذقن صافي البشرة ويتوج رأسها شعراً ناعم الخصلات خفيف، صاحبة جسد أنثوي التفاصيل كما كان لها نصيب في طول قامة والدها و طباعه المرحة.

عاشقة للقراءة و كتابة القصائد الشعرية .. يلمس قلبها كل لحن صادق جياشة الأحاسيس متزنة التفكير.

إذا سألت عنها في مدرستها الثانوية أو جامعتها الأجنبية تجدها قريبة و حبيبة لكل من تقابل .. حنونة في تصرفاتها مجنونة في كلامها صادقة في أحزانها و بريئة في أفراحها .. بقامتها الطويلة و ملابسها البسيطة و ملامحها الهادئة أصبحت علامة مميزة في كل مكان تذهب

اليه و تُعاشر ناسهِ .. شخصيةٌ مسالمةٌ و سلامها لا بد و أن يلمس روحك دون أن تشعر؛ خليطا من الأنوثة المرحة و جدعنة الرجل في تحملها و صبرها

من عائلة راقية المستوى العلمي و المادي .. فريدة التفكير و المشاعر.. و ما أوجعها و لا أرداها غير مشاعرها تلك !

****

كانت تتكلم عن دراستها للآداب و للغات و عملها في سلك التعليم الذي تعشقه و كيف أن هذا المسار كان مختلفاً عن ما توقعته أسرتها التي تمنت أن تتابع مسيرتهم في المجال الطبي و لكن نداء الأدب والفن و التاريخ استحوذ على روحها و سكنها و لعل الفضل في ذلك لجدها الحبيب إبراهيم الأمين ففريدة كانت حفيدته الرفيقة و بثها من حبه و عطائه و تعليمه ما لم يلحقه الكثير من أبناء العائلة .

و هنا باغتها الأستاذ العريس بسؤال توقعته و و يعلم إجابته من أبيها ولكنه كرجل شرقي أراد سبر أغوارها.

- و تجربة زواجك الأول ؟

- ما بها ؟

- احكِ لي عنها .

- مممم ... زواجي الأول !!

مر خاطر جريح بعقلها (آه ه ه لو يعود بي الزمن) و حانت منها إلتفاتة للأجساد المختبئة خلف الستائر .. تنهدت و بمرار الذكريات تكلمت ...

****

أن تتعايش مع الألم و تقنع نفسك أنها السعادة فتثور نفسك عليك غاضبة ، تصفعك و تتركك فتنفض عنك أحزانك و تركض لتلحقها

****

كانت لتوها تنزح قدماها من طفولة خضراء و تحسس طريق المراهقة الشائك بعمر الثمانية عشر عاماً .. فتاة مُحبة للحياة لا تحمل للمستقبل شيئاً سوى حلماً هادئاً منعشاً كرذاذ موج البحر.

والديها يعملان بأحد الدول العربية و لا يحطان رحالهما في مصر إلا مرة كل عام ولا أغلى عندهم من فريدة و فارس أخيها الأصغر .. فريدة على أبواب الجامعة الآن فبدأت العائلة و الصِحاب في توصيتهم بأن يطمأنوا على إبنتهم بتزويجها لرجل ذو دين و للتابع معه دراستها و تبدأ حياتها المُستقلة.و بالرغم أن والديها لم يقتنعا بالفكرة كاملة إلا أن المعارف و الأصدقاء بدأوا مساعيهم في (توفيق رأسين بالحلال).

بدأت اللحظة الساحرة تزور بيتها مرة تلو الأخرى.

بالطابق الرابع عشر من هذه البارجة الشهيرة بأرقى أحياء مدينة نصر كان يقبع بيت أبيها .. خمسة غرف و ثلاثة حمامات و مطبخ

فندقي المساحة و التجهيزات و بهو إستقبال فخيم تشرق من يساره الشمس لتغرب في يمينه..و آخر أركانه يقبع صالونا مُذهبا ملكيا شديدُ الفخامة و ستارة حريرية منطوية بخجل تَركنُ على الحائط الجانبي بشريط قماشي ذهبي و تُرخى الستارة لتفصل المنطقة الملكية عن باقي البهو .

كلما تقدم (العريس) لست الحُسن فتزين الحوائط و تزدهر الألوان وتنطلق العطور و يتزهزه الصالون المُذهب الملكي و يستعد لدوره حتى أنه يزداد بريقاً و إشعاعاً كأنه يشعر بالمناسبة.

بنت السلطان قابعة ترتجف في حرمها بقلب دقاته يكاد يسمعها كل من يمُر بشارعهم و بأنفاس لاهثة تتسائل هامسة (من ذا الذي يكون فارسي و يحملني على جواده الأسطوري و معه أشعل شمعات أحلامي إستعدادا لبدء مسلسلي الرومانسي الخاص ؟)

شُعيرات الدماء تحرق وجنتيها و خجلى حتى من أن تنظر لصورتها في المرآة

أم فخورة بابنتها العروس و أحلام الإطمئنان على ابنتها تشرح صدرها و أب يداري قلقه خلف هدوء يرسمه على ملامحه الوقورة الوسيمة.

كل هذا الإحتفاء و الإحتفال لأن شخصا ما قادما من مجاهل ما لكي ينظر و يتفحص و يقرر و يلقي بكلمته النهائية و حكمه على الضحية كإمبراطور روما القديمة مشيرا بإبهامه لحياة أو موت !!

تخرج الأميرة من حرمها تكاد لا تلامس الأرض من حيائها و إرتباكها متوجهة للعرش الملكي المُذهب . يتكلم الشخص بكلمات فارغة تضمن لها سعادة وهمية فتطمئن المسكينة المخدرة بسكرة أحلامها و آمالها و تمنحهم إبتسامة موافقة على عقد إحتكار لروحها و جسدها و هي تظن أنها حققت نصراً و هدفاً في مجتمع خاوي يحترم مظاهر كاذبة للحياة و لا يفهم جوهر العلاقات السوية !

شقة في منطقة راقية .. بالطابق الأرضي، محاطة بالحديد من كل إتجاه حتى أن أبوابها مصفحة بحديد صُلب و برر العريس الأمر أنه يحب الأمان و لكي يكون مطمئنا على عروسه عندما يتركها و يذهب لعمله...شقة ببناية هادئة و بشارع جانبي في زهراء المعادي ..إذا حل الليل خيم السكون على المنطقة حتى أن خطوات رجلٍ بالشارع قد تبعث الرعب في النفس ؛مكونة من غرفتين و حمام و صالة بها مكانين لوضع صالونا صغيرا و طاولة طعام وبها مطبخ صغير لا يسع لوقفة شخصين ....

أصر أبواها أن يجهزا فريدة بأرقى و أغلى أثاث .

قطع أثاث طال الجدل فيها و مشاوير لا تنتهي لصانعي الستائر وشراء عدد لا نهائي من ملابس النوم المثيرة من أشهر محلات اللانجري الراقي و أدوات تبرج و عطورمُرسلةٍ من باريس ثم ثوب الأحلام الأبيض الطاهر وحفل الزفاف ...

أواه من هذا الحفل ؛ لحظات ساحرة تمر بها كل عروس و تشعر معها بإمتلاك الدنيا و ما فيها .. كل أنثى منذ طفولتها منشأة على حلم ليلة زفافها رغم أنها لا تعي بالفعل ما بعد هذا اليوم من حياة أو

مسؤوليات بل و كثيرات غير متأكدات أن من أرتبطن به هو بالفعل رجلاً يقدر المسؤولية و يفهم معنى الزواج أم لا . كانت فريدة كإلهة جمال تلك الليلة .. أشرقت قاعة الحفل بِطلتها الساحرة..بجسد فارع أنثوي التفاصيل مُزداناً بفُستان زفاف شديد البساطة باهر الجمال. فستان فرنسي التصميم يكشف كتفاها و أعلى صدرها بقماشة التُل الشفافة ليستُرَ بدلال باقي جسدها بحرير و دانتيل منساب حتى أخمص قدميها مُطرزا بزهور صغيرة بيضاء كأنها تبتسم كلما تحركت فريدة. كانت مصففة شعرها بارعة فأبرزت جمال ذقن العروس المستدق بتصفيفة أسبانية هادئة جداً لخصلات شعرها العسلية حيث لملمته في كومة كدوامة بحر رائق و تركت خصلاتها الجانبية و الأمامية تنساب لتُقبل جبهة فريدة و ووجها الذي لم يحوي إلا لمسات هادئة جدا من مستحضرات التجميل ..فالعروس تعشق الطبيعية و البساطة في كل شيء.

دخلت مع عريسها شقتهم الجديدة و صاحبهم أبواها و عدد من أفراد عائلتها و عائلته يزفونهم بزغاريد فرحة و تبريكات صاخبة.. و بعد إنصراف الناس أنزوى أبوها بزوجها بجانب باب الشقة حابسا دموعه قائلا بنبرة إستجداء خفية: لن اذكرك بما عاهدتني ..أن تُكمل فريدة تعليمها و أن تراعي الله فيها.. فأومأ الرجل برأسه مُطمئنا أبيها مودعا أهلها قافلا ورائهم الباب

و أنغلق الباب.

و وراء الأبواب المُغلقة قصصا تُروى بالدماء و الدموع !

أمست مع رجل لا تعرفه و لا يعرفها في بيت لا تعرفه و لا يعرفها في ليلة صامتة كالحجر ... تركتها عائلتها متمنية لهما بداية حياة سعيدة طامعين في اخلاق و رجولة هذا الذي تعهد أمام الله بحفظها و حراستها و إكرامها .

في صالة البيت الجديد وقفت فريدة ترتجف رغبة و رهبة .. تنتظر فارسها حتى يطبع على جبينها قبلة تحية و سلام و لربما كان إمامها بصلاة تملأ حياتهم بركة و تكون سبباً في إمتزاج القلوب.... هي لا تعلم عن الزواج سوى القبلة تاركة كل ما بقى على عاتق زوجها ..لتهب له نفسها ليكون معلمها الأول

طال إنتظارها و هي لا تفهم .... حتى آتاها (زوجها) و رمقها بنظرة فارغة لم تفهمها حينها ..و كأن قناعا ذاب من على وجهه فظهر لها جافاً بارداً،، ثم تركها و دخل غرفة نومهما و أغلق الباب و بعد عده أصوات خافتة تدل على أنه يبدل ملابسه أنطفأ نور الغرفة .. و بقيت وحيدة للصباح ترتجف !!

الزواج لا علاقة له بالقهر فمتى يخرج جيل يستوعب هذه الحقيقة ؟

مضى أسبوعا على زواجها و هي لا تفهم !

لم يقترب منها المدعو (زوجاً) و كان كل ما بينهما أن يمر بها فيقول القليل من إرشادات تخص الطعام و المنزل و كلمات توجيهية كأنها في فرقة تجنيد

تخابرها أمها على الهاتف لتطمئن على العروس و هل تمت عملية تحويلها لإمرأة بنجاح ! فتجيب بكلمات فارغة لا معنى لها فتظن أمها أنها خجلى فتضحك و تداعبها بكلمات لا رد لها عند أبنتها .

ظروف عمل والديها أضطرتهم للتعجيل من السفر و بعد أن أبدت لهم فريدة أنها بخير لم يسعهم الوقت للبقاء وقتا أطول بجانبها.. ودعتهم و هي تشعر بخوف فطري لا تعلم :هل له مبرراً أم لأنها تفارقهم للمرة الأولى .

ليلة تلو الأخرى و فريدة كعروس المولد المصنوع من السكر .. تتزين و تتعطر و تستقبل جموع المهنئين و لا تراها سوى نصبة عزاء يقام كل ليلة على المرحوم قلبها .

- ألن تذهبوا في رحلة لقضاء شهر العسل؟ .. هتف خالها بصوت عالي وسط جموع المهنئين مخاطباً الزوج
انتبهت فريدة للكلمة و كأن سهماً أصابها ,,, كان هذا من ضمن باقة أحلامها التي ودعتها الواحد تلو الآخر.
تطلعت لعين زوجها ... بالفعل هناك شيئا غير طبيعي أبداً في وجه هذا الرجل .. كيف يكون قادرا على الإبتسام و الضحك أمام الناس بكل هذا الإنطلاق و تتغير ملامحه و كلماته على هذا النحو البارد بعد إختفائهم!!
- طبعا طبعا ... أنا محضر لفوفو برنامج روعة مفاجأة مني .
فوفو !! فوفو هذه أنا .. تمتمت بدهشة عارمة حتى أن أحد قريباتها لاحظتها فسألتها مباشرة : فريدة ..أأنت بخير ؟
- هه ..؟ آآ نعم نعم بخير طبعاً ..أنا فقط نسيت تقديم بعض أصناف الحلوى .. أستأذنك .

و في الصباح قرر زوجها تنفيذ الصورة الكاملة للعروسين و بلهجة الظباط في كتائب الجيش قال :
- حضري حقيبتك .. سوف نذهب للأسكندرية .. القطار يتحرك بعد ساعة.
الأسكندرية !!
مسقط رأس أحلامها و مقبرة آلامها..
تلك القبلة الحانية التي تطبعها مصر على جبين الكون
ألم تجد سوى معشوقتي لأشاركك إياها هذا الحزن و الرعب ؟!

و يتحرك القطار حارقا وقوده و معه تحترق أوردتها في طريقها للحبيبة مرتع سلامها النفسي و هزات القطار تصفع جسدها طوال الطريق .
دخلت شقة مؤجرة بالطابق الثامن عشر تطل على البحر الواسع في منطقة مصطفى كامل و بمجرد أن لامست قدمها الشقة هرولت نحو الشُرفة لترى البحر و تتداوى بنسيمه و ما إن فتحتها حتى أنهار جسدها على أرض الشرفة الباردة و رغماً عنها أنفطرت في نحيب أسود و بعد لحظات سمعت باب الشقة يُصفع بعنف فازداد نحيبها قهراً

****

أربعة أيام و ثلاث ليال ..مدة الوقت الذي أمضته كشهر عسل أسود و الخوف و الحيرة مازالوا يفتكون بها

أربعة أيام و ثلاث ليال و هي تخفي عينيها خجلاً من موج الحبيبة كأنها خذلتها و أتت لها بحال غير الذي عهدتها عليه طوال سنين الطفولة و الصبا.
عادت أدراجها لتتصنع الهدوء و تبث الطمأنينة لعائلتها كلما حادثها أحدهم على الهاتف ليطمئن ... فيطمئن و تبقى وحدها تئن
حتى هدأت إرتجفاتها الليلة و اعتادت أن تقضي ليلها مكومة جسدها البكري على أحد آرائك المنزل البئيس حتى تلك الليلة ...
عاد زوجها من عمله و شعرت بلفحات أنفاسه الغاضبة تسبقه و إذ به يقتحم خلوتها و هو يصرخ فريييييدة ... فرييييدة
و قبل أن تعي ما يحدث أنقض عليها يجررها من يدها و يدفع بجسدها المرتعد على فراشه و يتجرد من ملابسه في سرعة و كثور هائج بدأ ينهش جسدها في محاولة بئيسة للعلب دور فاشل .
تبكي و تصرخ فيكتم فمها بقبضته .. تبكي و تصده و بكل قوتها الضعيفة تدافع عن نفسها من الخوف و الاغتصاب المُقنع في صورة زواج شرعي، و بعد أن عجز عن التمكن من جسدها بدأ بضربها بعنف.. صفعات و ركلات و لكمات ما زادتها إلا كراهية و تمرداً و عجزاً. لم تصدق ما يصيبها و لكن حتى حقها في الإستيعاب لم يكن من حقها!
تخلصت من براثن الثور بأعجوبة و ركضت متخبطة لغرفة المعيشة و أغلقت الباب بالمفتاح و أحتمت به كملاذها الأخير.. لحقها زوجها وأخذ يركل الباب بكل قوته وهو يقول صارخاً : أنا سأثبت لك أنني رجلاً رغماً عنك !!

****

الزوجة المتربية تطيع زوجها ،، الزوجة الصالحة تستر زوجها

****

بعد غفوة قصيرة أصابتها على إثر العدوان الغاشم ؛ مكومة جسدها خلف باب الغرفة أيقظتها صفعة باب الشقة المعتادة ففتحت الباب بحذر شديد و هي تتحسس الخطى لدورة المياة .. عطشى و تترنح من شدة الألم .. فتحت الثلاجة وجدتها خاوية على عروشها و كذلك كل حاويات المطبخ .. تجرعت حفنات قليلة من الصنبور و ركضت للصالون لتهاتف أمها أو أي أحد من أهلها فوجدته صامتاً كالقبر بلا أثير.

قررت أن تخرج مسرعة إلى أقرب محل بقالة لتهاتفهم من عنده و من ثم تهرب على بيت أبيها أو خالها .. ركضت نحو الباب و إذ به مغلق و انتبهت أن نسخة مفتاحها ليست بمكانها!

أنا سجينة إذاً !! أيحاول قتلي مثلاً ؟!

لوهلة فكرت في القفز من النافذه ... و لكن نظرة سريعة على قضبانها الحديدية المنصوبة كانت كفيلة بإجهاض فكرتها.

أنهكتها محاولات فتح الباب أو كسره أو توصيل سلك الهاتف أو رسم خطة لنزع قضبان النافذة حتى حل الليل و رأت سيارته تَركَن في مكانها المُعتاد بجانب سور البناية فسارعت لمخبأها في غرفة المعيشة و أغلقت الباب و هي ترتجف و تدعو الله ...يارب

يارب

يارب

و لأول مرة تسمع باب الشقة ينغلق في هدوء و حذر و شعرت بإقتراب خطواته ,, توقفت أنفاسها عندما رأت ظل قدميه يتوقف عند عتبة باب ملجأها ... طرق الباب عدة طرقات هادئة ثم قال بصوت رزين هادىء: أنا آسف!
و تابع قائلا : أنا كنت مضغوط جداً من عملي و عدة مشاكل انت لا تعرفيها فتصرفت بهذه الطريقة السيئة .. أرجوكِ افتحي الباب أنا أريد التحدث معكِ .. لو سمحتِ .

قالت بصوت خفيض حائرمُرتعب : و ما الضامن ؟ ما الذي يضمن أنك لا تفعل فعلتك تلك مرة أخرى ؟
و بنفس نبرته الهادئة قال : أنا أقسم لكِ .. و لكي أثبت لكِ سوف أنتظرك في السيارة حتى آخذك في نزهة و نتكلم قليلاً عن كل شيء... نحن لم نتكلم منذ بداية زواجنا و هذا ليس ذنبك و لعلي أنشغلت بشكل زائد في عملي و لكنني أعدك أن أبدأ معك صفحة جديدة تماماً ..

ثم سمعت خطواته تبتعد باتجاه باب الشقة و صوت ناعم لغلق الباب.
فتحت باب غرفتها بحذر و تأكدت أنه فعلا خرج و ترك الباب بلا قفل فبدأ يطمئن قلبها و تهدأ أنفاسها .. طامعة فعلاً في سلام نفسي .. مصورة لعقلها الطفولي أن كل شيء على ما يرام و أن البداية الحقيقية أوشكت ... قد تأتي متأخرة و لكنها تأتي يوما ما. لم تعرف أبداً أنها أصبحت فأراً وقع في المصيدة.

****

الزوجة الصالحة لا تفشي أسرار بيتها ... البيوت ياما فيها !

****

- إلى أين نذهب ؟
- الآن تعرفي كل شيء.

****

استوصوا بالنساء خيرًا ، فإنّهن عوان عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله

****

توقف بسيارته عند مركز طبي يكمن في أحد الأحياء الشعبية البعيدة جداً عن منطقة سكنهم و قال لها بنظرة متصنعة الحنان: هلمي نبدأ صفحة جديدة من البداية .
نظرت حولها و بإبتسامة حائرة سألته : و لماذا نحن هنا ؟!
اعتدل قائلاً و هو ينظر في مرآه السيارة المُعلقة و يفرش خصلات شاربه و لحيته بأطراف أظفاره : بالتأكيد هناك الكثير من الأمور الجديدة عليكِ تخص الزواج و أنتِ مازلتِ صغيرة و من الواضح أنك جاهلة بها و هذا أكثر شيء أحببته فيكِ الفترة الماضية بعد اختبارك ومراقبتك .. و تأكدت أنك لست مثل أولئك الشقيات العابثات... و لكن الآن حان الوقت لنتكلم مع طبيبة متخصصة بالأمراض النسوية و هي تتولى إفهامك كل شيء ... هه .. ما رأيك ؟
صمتت .. و هل لها سوى الصمت تعبير !! كل ما دار بذهنها وقتها أن هناك أملاً و هي سوف تدفع أي ثمن لإحياء هذا الأمل.

دلفت معه لعيادة الطبيبة ..مكان بعيد ..كئيب .. إضائته نيون مذبذبة .. ورائحة باعث على غثيان تستقبلهم من الطابق الأرضي ;استقبلتها التمرجية السمينة بضحكة صفراء قبيحة قاذفة لعابها في الوجوه كل ما تكلمت ...

المسكينة فريدة من رعبها ألتصقت بذراع زوجها ترتجف فضحك بسخرية مخفاه و ربت على كفها قائلا: ما بك .. لا بد و أن تعتادي على عيادات الأطباء تلك لأنك قريبا جداً ستكونين أماً.

- أم ؟!

- طبعا و أحلى أم.

يالجمال الكلمة! ... هي لا تعلم أهي الان سعيدة أم خائفة أو تائهة .. ولكن وقع الكلمة على قلبها خدر إحساسها و مخاوفها بل جعلها تتصبر و تتشجع و تتحمل رذاذ لعاب التمرجية .

دقائق و جاء دورهم و دخلا عند الطبيبة .. و وجدت زوجها يقول بمرح زائد : ها هي عروستي .. هه ..ما رأيك أليست أجمل من القمر ثم خفض صوته قائلا : هي مازالت صغيرة و لا تفهم الكثير من الأشياء .. و كما أفهمتك ؛ ثم غمز لها بعينيه !

الأجواء كلها خانقة و ضربات قلبها تحذرها .. شيئا ما أسودا يوشك على الحدوث ... شيء ما لا تفهمه و لكنها تشعره بقوة ..

دقائق مرت في عدة أسئلة روتينية لها و لزوجها ثم نهضت الطبيبة وهي تقول لها بلهجة آمرة : هيا إخلعي ملابسك و استلقي على سرير الكشف لكي أفحصك

نظرت لزوجها خائفة .. من عجزها تستنجد بذابحها فربت على كفها و أشار لها بذراعه كأنه يحمل طفلا و كأنه يقول كله في سبيل الأمومة .

ساقتها التمرجية كالذبيحة و أمنت نومتها على سرير الكشف و بصوت جهور و بمزيد من الرذاذ هتفت : جاهزين يا دكتورة.

****

هل يعقل أنها كانت بريئة لهذه الدرجة أم أنهم حقراء لهذه الدرجة؟!

****

قالت الطبيبة : سوف أفحصك و قد تشعري ببعض الألم

- هاه .. أتشعري بألم ؟

- نعم ... جداً ...و بدأت تنقبض عضلاتها ألما و خوفا

- لا حبيبتي إرخي لي عضلاتك ... تشبثي ... ثبتيها جيدا يا تفيدة

آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه ...دوت صرخات فريدة قبل أن تفقد وعيها .

خنجراً مسموماً فضت به حصنها و تركتها تنزف من قلبها قبل أن تنزف من بين ساقيها .

طعنة غدر و ألم يترك تشوهاً في النفس إلى الأبد ... و لا تعلم ما ذنبها أو خطيئتها !

هل أملها في الحب الحلال ذنباً ..هل حلمها بالزواج و تأسيس البيت عيباً ؟

تفيق لترى وجه مغتصبها بجانبها في السيارة يقول لها بإبتسامته الكريهة (مبروك) لتفقد الوعي مرة أخرى

لا تدري كم مر من وقت و لكنها عندما أفاقت شعرت بألمها الحارق

كان زوجها نائما بجانبها في الفراش و بقعة دم تلطخ ملابسها

وفراشها... حاولت السير لدورة المياه و فخانها جسدها و تأوهت ليستفيق زوجها على صوتها و يقول لها بلا مبالاة قبل أن يتابع نومه: الدواء عندك على الكومود.
جلست على الأرض تنتحب خوفاً و قهراً و لا تعي ما ذنبها في كل هذا العذاب ...

****

الزوجة الصالحة تتحمل مهما حدث !

****

والداها خارج البلاد و ما زال حظر التجول عليها مفروضاً من زوجها حيث لا تستطيع إستخدام الهاتف و لا الخروج من باب الشقة هي في حيرة من أمرها ... فخبراتها بهذا الموقف عجيبة و لا تفهم هل ما يحدث هو الطبيعي و المتعارف عليه أم أنها حالة خاصة فريدة كاسمها...
لماذا لم تخبرني أمي؟! لماذا لم يعلمني أحد بكل هذا حتى كنت على الأقل أستعديت له ؟؟ اهذا ما حدث لأمي و كل إمرأة تتزوج !! لماذا ياربي جعلت هذا هو الزواج ..لا أصدق أن كل إمرأة ضحت و تألمت و عانت كل هذا المرار لتستحق لقب زوجة و أم !

غارقة في أفكارها السوداء و نحيبها الصامت دخل عليها زوجها بعدة أكياس بلاستيكية مليئة بعلب العصير الصناعي و بعض المخبوزات و بنفس إبتسامته الصفراء قال : صباحية مباركة يا عروسة... أنتي نائمة منذ يومين و أنا لا أقترب منك حتى تفيقي و تماما و من ثم أمتعك .. و غمز لها بنفس تلك العين القبيحة .
- أريد أن أكلم أمي .

صمت قليلا بتحفز ثم قال : لكن أمك و أبيك خارج البلاد.. و للأسف لا أستطيع محادثتهم دولياً لا أملك رصيداً كافياً.. سوف أعاود شحن البطاقة الهاتفية.

- حسنا... خالتي ؟

توترت ملامحه و قال: بعد الأكل ... كلي أولا و بعدها تحدثيها

أضطرت أن تستجيب .. فلا مفر من سجانك سوى أن تُطيع أمره أو تتمرد و ينتهي الأمر.

و قبل أن تنهى علبة العصير كانت نائمة و هو ينقلها على فراشها بهدوء!!

****

عدة أيام بين اليقظة و المنام و لم تعِ خلالهم أنه ينومها بالساعات و لا تدري هل اتصل أحد من أهلها؟ وترى ما الذي يقوله لهم؟ .. فهو بارع بالكذب و تمثيل دور الزوج المثالي المحبوب .. عزمت على ألا تأكل شيئا أو تشرب و تتظاهر بالنوم طوال إستشعارها وجوده بالمنزل حتى تفكر كيف تخرج من محبسها .. بالفعل قضت اليوم متظاهرة بالنعاس العميق و ترقبت خطواته .. كانت أكثر اللحظات رعبا عندما اقترب منها ليتأكد أنها نائمة ...أو لعله كان يتأكد أنها ما زالت على قيد الحياة!!

جال الخاطر بذهنها فزادها رعبا ...! ماذا لو كان الأمر فعلا محاولة قتل تدريجية لها ... هي بالفعل لا تعلم شيئا عن ما يدسه لها في الطعام و الشراب !!

وقبل أن يزداد تقليبا في جسدها دق هاتفه و كأنه جند مُرسل من عند الله .... فزع زوجها للرد عليه و سمعت حواره

- مممم .. لا لا ... لا تقلق .. المشكلة أن زوجتي متعبة و أنا مضطر أغيب عنها حتى الصباح ... ممم ... حسنا فكرة طيبة جدا ، سوف آخذها لأمها ... نعم .... نعم ..... مممم .... لا تخشى .. سوف أنهى العمل الليلة و أعتقد الطريق هاديء و أظنني قبل الصباح أكون قد أنهيته ..... هههههههه لا .. أنا فعلا لا أستطيع الإبتعاد عنها و لكن لقمة العيش ...حسنا أراك بعد ساعة هناك .

أنهى المحادثة و زفر بقوة و تمتم محادثاً نفسه و هو يغطي جسدها بأغطية الفراش: مممم يبدو أن جرعة المنوم زادت عليكِ يا عروسة ... نعم ..قبل أن تفيقي سوف يكون فارسك هنا ... ليرعاكي و يصونك ..و يمتعك هههههههههههه.
دقيقة مرت و سمعت صوت باب الشقة ينغلق و تكات مفتاحه الثلاثة تحكم إغلاقه !
ألهذه الدرجة هو جبان .. و خائف من سجينته!

بدأت تتحامل على نفسها و تتسند الحوائط حتى وصلت للنافذة و رأت سيارته تبتعد عن البناية .. و هنا لم تتمالك نفسها فتحت النافذة وظلت تصرح و تنادي حتى سمعها حارس البناية و مرتعبا أتى لها على الباب.. حادثته من وراء الباب ببقايا قوتها الضائعة :
- عم سلّام .. أرجوك ساعدني .. أنا حبيسة منذ أيام و زوجي يكاد يقتلني
- نعم يا بنتي كنت أقول لزوجتي أم محمد أنني قلق عليك فلا أراكي أبدا و منذ أن حملك الأستاذ و دخل بك يوم العملية و حن قلقون عليكي.

- عملية ؟؟ أي عملية ؟
- عملية الإجهاض ... ربنا يعوض عليكي يا بنتي .. قال لنا الأستاذ أنك أصبتي بالإجهاض بعد شهرين من الحمل و هذا مؤلم و ...
- كاذب ... يا عم سلام بالله عليك أتصل على أبي أو خالي أو خالتي أرجوك يا عم سلَام .. كل لحظة تصنع فرقا في حياتي أو مماتي
- يا بنيتي لا تخافي سوف أصعد لجارتكم مدام نعيمة و أستنجد بها لتطلب أرقامهم .. فلا هاتف لدي و لا أقرأ الأرقام.
مرت دقائق و هي ساجدة ترجو أن يعينها الله و يفرج حبستها ..و سمعت صوت خطوات راكضة على درج البناية و آتاها من خلف الباب صوت جارتها يسألها بقلق و حذر : خير يا مدام فريدة ؟ ما هذا الذي يقوله عم سلّام؟
من بين دموعها و بأسها ردت فريدة
- أرجوكي يا طنط أنا أخشى أن يأتي زوجي في أي لحظة و يقتلني هو قاطع عني كل وسائل الإتصال و كما ترين يحبسني بالبيت ... أرجوكِ أنا أريد محادثة أحد من أهلي بأسرع وقت ممكن .. أنا متعبة جداً و نزفت كثيراً ... بالله عليكِ أسرعي

- حاضر حبيبتي لا تقلقي ... أنتي في مقام بناتي والله ... لن أتركك قبل أن أطمئن عليكي .. ثم أستدارت تأمر حارس البناية : عم سلّام أذهب أغلق باب البناية بالمفتاح و راقب الطريق حتى يأتي أحد من أهلها و إذا أتى زوجها أطرق باب العمارة بشدة حتى يستيقظ ساكني البناية كلهم .

هرول عم سلّام مستنفراً و شعور المسؤولية يصيبه بالنشوة و القوة و سألتها مدام نعيمة عن أرقام أهلها و بدأت تطلبهم تباعا.. لا رد من والديها ... لعلهم بعيدين عن الهاتف أو هناك فارق بالتوقيت و لكن كل محاولةٍ فاشلة على الهاتف تكوي قلبها بنار الخوف و يَضُعف فيها الأمل ... حتى حانت اللحظة و ردت خالتها على الطرف الاخر ... دقائق مرت كانت تحكي فيها مدام نعيمة لخالة فريدة الأحداث بسرعة شديدة و قبل أن تغلق الهاتف كانت خالة فريدة ترتدي ثيابها على عجل و تحادث أخيها لتخبره بما حدث و يتفقا أن يتقابلا عند منزل فريدة .

****

و بي أمل يأتي و يذهب .. لكن لن أودعه
محمود درويش

****

كانت الصدمة كبيرة .. أكبر من أن يستوعبها أفراد العائلة؛ لم تكن هناك أي مقدمات تشير إلى ما يحدث الآن و كان من الصعب جداً أن تشرح لهم فريدة تاريخ الشهور الماضية و أحداثها من وراء الباب خاصة و أنها في حالة صحية و جسدية يرثى لها . تجمع الجيران واحدا تلو الآخر و دارت المناقشات و تباينت الآراء حتى حسم أخوالها الأمر بطلبهم لشرطة النجدة و بعد وقت وجيز وصل أفراد الشرطة و حرروا محضراً بالواقعة ثم بدأ الجميع بمحاولات لفتح الباب أو كسره خاصة عندما بدأ صوت فريدة بالخفوت فخافوا أن يصيبها مكروه .

الباب لا يستجيب و فريدة صامتة لا تستجيب لندائهم و ضرباتهم ... كان خالها يتصل على زوجها و يتوعده آمرا إياه بالقدوم فورا و بالفعل بعد قرابة الساعة ظهر الزوج مرتعدا ..مرتعبا ..يتلون ليتصنع الخوف على زوجته و يمثل دور المصدوم على ما أصاب زوجته .. تلقفته عيون الجيران و الأهل بقذائف نارية و كلمات سامة و لعنات على رأسه ...فتح الباب فهجم كل من كان واقفاً على الباب للداخل .. فريدة كالجثة على الأرض تتنفس بصعوبة زرقاء الجلد و جسدها متخشب .. شهقات وصرخات انكب عليها كل من طالها لإنقاذها .. استدعى أحد الجيران عربة الإسعاف و كانت خالتها تضرب وتخمش وجه زوجها الذي تخلص من قبضاتها بأعجوبة و فر هارباً من البناية...
تأخر الإسعاف و فريدة لا تتحسن أو تستجيب فحملها خالها بمساعدة أحد الجيران و جريا بجنون تجاه سيارته و ما كاد خالها يقود سيارته حتى وصل لسمعه صوت سرينة عربة الإسعاف .

صدمة أب أدت لجلطة في قلبه و لوعة أم كادت تعصف بحياتها عندما رأوا بكريتهم طريحة فراش المشفى و سمعوا ما دار بها و كيف أغتصبها ذاك المأفون.

لم يطل الأمر في محكمة الأسرة ..
شهدت الطبيبة بما فعلت و بما دفعه لها من مال مقابل فعلتها الحقيرة أقسمت أنه أتى لها بشهادة من طبيب ذكورة يثبت لها بها أنه سليم وقادر على الزواج و لكن زوجته صغيرة و استصعب عليه فض بكارتها فطاوعته و لم تكن تنتوي أذى أبداً .. و على الرغم من غضب

أهل فريدة إلا أنهم تنازلوا عن حقهم في سجنها .. كانت الشهادة الطبية و محضر الحبس و إختفاء الزوج حتى عن أهله سارقا كل قطعة أثاث و ثياب و ذهب تخص فريدة عناصر سارعت بحكم القضاء بخلعها من زوجها .

طلبها محامي والدها ذات مساء و بلهجة مرحة : مبروك يا مدام فريدة .. أخدتي حكم الخلع و غدا تتزوجي سيده و الحمد لله على ما حدث وأهم شيء غدا تذهبي الى المحكمة لتنهي ال....
و غاب صوته عن وعيها.

اليوم يوم ميلادها!
اليوم تمت تسعة عشر عاما! و اليوم أيضا تحررت من حبس لا تعلم له سببا حتى هذه اللحظة ..!
أهو خطأ أبي كما قال الناس ... (كان لا بد أن تسأل عنه أكثر و تعرف أصوله و فصوله)
و لكنه سأل و تحرى على قدر ما أستطاع و كل من سألهم قالوا هو ابن أناس محترمين حتى أن صديق أبيها عم سمير هو من رشحه لهم!.. أبوه كان قاضياً في المحكمة و كانت سمعته طيبه رغم مرور عدة سنوات على وفاته .. و كانت أمه إمرأة بسيطة و تبدو عليها الطيبة و الهدوء . كان أستاذا بالجامعة يكبرها بإثني عشر عاماً و شهد له الطلاب بالإحترام و التقدير !!
ثم أن ما به من عيب أو نقص شيء خفي عن عيون الناس و ما أسهل أن يرسم الإنسان أطهر صور الفضيلة و الخلق و بباطنه شيطان رجيم ! كيف أستطيع الثقة في أحد بعد ذلك!

أم أنه خطأي أني حلمت يوما بفستان زفاف و رجل يكون لي رفيق وسند و يكون أباً لطفلي.. أم هو خطأي أنني أنثى بالأساس !!

تفتك بها خواطرها و أوجاعها و بعد أن كانت ضحكتها صافية وحديثها الصاخب مصدر متعة أسرتها أصبحت شفتاها مقبرة لإبتسامة مشروخة تداري خلفها قهرة قلب.

****

فالقلب يصدأ كالحديد..فلا يأن و لا يحن

محمود درويش

****

بعمر تسعة عشر عاماً فقط .. خرجت من سجن صغير إلى سجن المجتمع الأكبر و جلداته المستمرة الظالمة.

فاتها عام دراسي كامل و ضرب الإحباط أوصال روحها و استوطن الإكتئاب تفاصيل وجهها الرومانسي.

أصبحت (مدام) فريدة ! و بطاقتها موصومة بلقب مطلقة ..

لم تعِ تبعات هذا اللقب الجريح حتى رأت نظرات صديقاتها لها؛ فكل فتاة أرتبطت بشاب أو تزوجت كانت تخاف على رفيقها منها و من أن يتعرف على صديقة زوجته (المطلقة)! كل رجل في مصلحة حكومية أو خاصة أو بنك بمجرد أن يطلع على بطاقتها يرمقها بنظرة

تحرش واضحة و يلوك أسمها بطريقة مقززة و كأنها فريسة تورطت بخيوط عنكبوت متلهف لتذوقها. بدأت باعتزال الشارع و اعتزلتها صديقاتها الواحدة تلو الأخرى و كلما تواجدت بمحفل عائلي لاحقتها نظرات الشفقة .. و من تتكلم منهن تبادرها بأسئلة كأنها أرتكبت جريمة و مطلوب منها الدفاع عن نفسها و إقناع هيئة المُحَلَفين! ابنة العائلة البكرية الجميلة الذكية أُريقت زهرة أحلامها في أيام معدودة وبدلا من أن تكون بين صفوف الجامعة تدرس علما أو تبدأ علاقة حب انزوت بين جدران الغرف تجتر ذكريات لم تعشها إلا في أحلامها فقط!

****

و لا نتوب عن أحلامنا مهما تكرر إنكسارها

محمود درويش

****

كانت كلمة السر هي أمها؛ الدكتورة نُهى الأمين... دعمتها ماديا ومعنويا و دافعت بكل شراسة عن ابنتها فذهبت للعديد من الجامعات الراقية في البلاد و أصرت بكل ما تملك من قوة أن تتم أبنتها تعليمها الجامعي و دافعت عن هذا الحق أمام كلمات المجتمع الجارحة و شبهاته المريضة

- معقول!! تتركي ابنتك تخالط الناس و الشارع بهذا الوضع !

- أي وضع ؟؟!

- وضع أنها مطلقة .. سهلة المنال .. من السهل جداً أن تقع في علاقات خطرة خاصة أنه لم يعد لديها مانع يمنعها الآن.

- و هل كانت قطعة جلد هي المانع من ممارسة الحرام و الخطأ !!! عجباً لكم كيف تحكمون.. أنا أراهن على التربية و الأخلاق و الدين .

- المجتمع لا يرحم و الذئاب مترصدين .. دعيها تتعلم أي تعليم منزلي و لعل الله يرزقها بمن يسترها .

- يسترها !!! أكانت مهتوكة الستر !! هي لم تفعل الا حلالاً و لم تبتغ سوى حقها الإنساني .. أنا أصر على تعليمها بأرقى مكان ممكن وتسليحها بالعلم و العمل و لعل الله يعوض عليها و يجبر كسرها.

و قد كان .

ظلت أمها تساندها، تداوي جراحها ..تكفف دمعها و تصقل فرحتها وتزج بها بقوة و ثقة في كل أنحاء المجتمع ، كانت لها الصديقة والرفيقة و لكنها أم !

أم مازالت تعلم أن ابنتها يراودها حلم الفارس و البيت الدافيء والأطفال الضاحكة .. أم تقرأ شرود أبنتها قبل أن تتكلم و ترى ما وراء نظرتها السارحة .. لو بيدها لكانت أشترت لها أرقى الرجال وأطيبهم و لكن ما باليد حيلة ..و على الرغم من ما حققته مع فريدة من تغير بمزاجها و زيادة ثقتها بنفسها إلا أنها مازالت تبكي لله في سجودها و ترجوه أن يجبر خاطر أبنتها .

ستة سنوات كاملة أنقضت ..

عادت فيها الضحكة الصافية لفريدة العقل و القلب .. نعم ازدادت ثقة بنفسها و تفوقت في دراستها حتى كانت مثار حسد و غبطة للكثير .. كانت ناشطة باتحاد الطلاب و أسست عدة محاور و أنشطة بالجامعة؛ عاشقة للآداب ومختلف علوم اللغة انطلقت في سماء الشعر و الكتابة والمسرح. تميزت بخفة ظلها و ذكائها وإحتوائها لجميع من حولها وبعد كل تكريم سنوي كانت تزين صورة تخرجها من الجامعة جدار صالة بيت أبيها الذي كان دائم التحدث بفخر عن ابنته التي حاربت كل الظروف الإجتماعية القاسية و كيف أنها فخر و شرف العائلة كلها.. ستة سنوات تقدم لها فيها عدد لا حصر له من الشباب بمختلف ظروفهم الإجتماعية و المادية و التعليمية .. و لكنها كانت ترفض الفكرة قبل أن تُطرح أو قد تستجيب لرؤيته و هي مبيتة نية الرفض ..

هل كانت تنتقم !!

لعل هناك رغبة خفية بداخلها تشتهي أن ترى نفسها مرغوبة بعين كل رجل ثم تقهره برفضها له و بلا سبب .. لعلها تشفي حر قلبها عندما ترى أفضل الرجال متزاحمين عليها أمام المجتمع الذي قال يوماً (مطلقة ؟! و من ذا الذي يرغب بها إلا رجل بظروف خاصة .. حتى المطلق أو الأرمل يبحث عن بكرية ..لن تجد سوى أن تكون زوجة ثانية في الخفاء ..!)

لا ..لم ينقطع حلمها ..بل على العكس كانت تنتظر في كل لحظة تنفرد بنفسها لتُطلق العنان لخيالها و تشعر بحريتها مع أميرها .. و تعيش الخيال كبطلات أفلام ديزني الجميلات اللائي يشدون بأصوات خلابة فتصاحبهن الطيور و الوحوش حتى تصادف فارس الأحلام النبيل

فيطير بها على صهوة جواده الأسطوري و تبدأ تزرع الأرض ورداً فتحصد حباً ...

لكنها لم تكن أميرة عالم ديزني ..! فكلما ازدادت نبلاً و أخلاقاً ازداد العالم حولها شراسة و خسة ...كلما بذلت سلاما بادرها بحرب شعواء ..تُغني فتلتف حولها الضباع ..تبكي فتنهشها الشياطين.

ستة أعوام أنقضت و هي مُبحرة في سلام ، تنهل من حنان والديها ودعمهم و تؤسس عملها الخاص .. ستة سنوات و هي تكبت حلمها وتختبيء خلف قوتها و زهوتها حتى تلك الليلة ...

****

ليتني حجر.. لا أُحن إلى أي شيء!

محمود درويش.

****

ساهرة تستمع لبرنامجها الإذاعي المفضل و تضيف اللمسات الاخيرة على مشروعها الخاص أشتاقت لكوب حليب دافيء يحتضن أوصلها في هذه الليلة الباردة .. أحكمت غلق معطفها المنزلي و تسحبت بهدوء باتجاه المطبخ خشية أن تُقلق والديها أو أخيها الأصغر فهو في فترة إمتحانات السنة النهائية من كلية الطب . تمرُ على أطراف أصابعها وأجفلت عندما سمعت صوتا قادما من الصالة البعيدة بالمنزل.

هذا محل صلاة أمها!

كانت أمها ساجدة و صوت نحيبها الخافت يشق صمت الليل .. وسمعت أسمها يتردد في دعائها .. نعم هي تدعو الله كل ليلة لها في نفس المكان و بنفس الحرارة لم تفتر و لم تيأس.

تقهقرت فريدة لغرفتها و كل الخواطر بعقلها تجول .. هل حان الوقت لأُصدُقُ في دراستي لمن يتقدم لي و أن أكون جادة بهذا؟ العمر يمر و الفرص قد تقل بعد فترة و لا يُعقل أن كل الأشخاص بسوء الماضي . أنا مهما حققت من نجاح لن أكتمل إلا بإكتمال حلمي و زواجي و حملي بأطفال ..نعم هذا هو النجاح و هذه هي السعادة.

و ها هي تبحث في كلام هذا المُتقدم عن ما يطمئنها .. تحاول أن تكتشف شيئاً شريراً ظاهراً في شخصه أو كلامه علها تهرب قبل أن يقع الفأس في الرأس

****

شاباً في الثامنة و العشرين من عمره ، سماره وسيم بهدوء ذو بسمة طيبة و بعينيه حَوَرٌ جاذب .. شعره متموج و تحدد ملامح وجهه لحية سوداء و شارب. يبدو عليه الطيبة والهدوء ومستواه الإجتماعي والعملي مقبول و إن كان متعسرا ماديا كأغلب شباب جيله و قد كان لتوه منتقلاً للعمل بأحد دول الخليج براتب يكفي لنفقة فردين في بداية حياتهما لكن لا يؤمِن مسكناً أو أيا من متطلبات الزواج من مهر وشبكة وحفل وغيرها ...

كان المهندس هيثم سليمان أرملاً حديث العهد بأبوة لطفلة تعيش الآن في كنف جدتها من أمها و لم تتم السنة و النصف من العمر .. رأت

فريدة بعينيه رغبة في بناء أسرة آملة أن يكون صادقاً و واعياً لما يقول و يَعِد..

- أعتدلت فريدة بجلستها و تكلمت بجدية أرادت بها أن توصل لعقله كل معلومة عنها حتى تكون كل الأمور واضحة و لا لبس فيها أو تورية : باشمهندس هيثم .. تشرفت بمعرفتك و رؤيتك و أعتقد أنك إنسان محترم جداً ونيتك في الإرتباط بي مقدرة عندي تماما ... و أعتقد أنك كنت صريحا معي و حكيت لي عن حياتك و نفسك و عملك وأعتقد أنني لا بد أن أكون بنفس مستوى صراحتك و أعرفك على نفسي و أن أخبرك بعدة أمور تعني لي الكثير جداً.

أجاب بإهتمام واضح : تفضلي.

- أنا إنسانة نشيطة جداً .. أقدر معنى الحياة و العمل بها .. أحترم دور المرأة في بيتها و خارج بيتها ..أحترم العلم و العمل و أقدرهما جداً .. بل إنه من الصعب علي جدا ترك عمل و متابعة دراستي العليا بالجامعة للزواج إلا إذا .. و أشارت بسبابتها..

- إلا إذا ماذا ..؟!

- إلا إذا كان هذا الزوج مُقدِراً تماما لقيمة هذه العلاقة و أبعادها ومسؤولياتها و يعي جيداً ما تحتاجه الزوجه و ما تكره و هذا بالطبع كلام نابع من عقيدتي و بالتالي أنا أيضا أعترف للزوج بحقه و أحترم ما يحب و ما يكره و لكن باتفاق بين طرفي الزواج و رضاهم. الزواج ليس مجرد شهوة نقضيها بالحلال و إنما مؤسسة كاملة قائمة على

التفاهم و الود و الرحمة .. و لذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (تفقهوا قبل أن تسودوا).

- قال مداعبا إياها : و لا تنسي أن الرسول قال عنكن أنكن تُكفرن العشير.

- ابتسمت بهدوء واثق و أجابت : و لا تنسى أنه أوصى رجال الأمة على النساء في خطبة وداعه و أوصاكم رب العالمين في كتابه .. بل هناك سورة كاملة أسمها النساء و لا توجد سورة الرجال!

أبتسم و قد أستفزت عقله و أعجبه ما رأى منها من ثقة و هدوء و ازدادت إبتسامته حينما أشاحت بوجهها خجلا و توردت وجنتاها البيضاء..

أردفت تقول بعد لحظة : انا كنت أحب التعرف على إبنتك وأسرة زوجتك رحمها الله وإذا لم يكن عندك مانع وقدر الله لنا هذا الزواج كنت أود بأن تتربى إبنتك معنا حتى لا تشعر بأي إغتراب أو بعد عن أبيها أو إخواتها في المستقبل .

أعجبته جدا... خليط ساحر من شكل الأنثى و عقل الرجل.. و هنا دخلت أم محمود الشغالة حاملة صحيفة عليها فناجين الشاي الفاخر والحلوى الشهية.. تناول فنجانه و عينه مثبتة على تقاسيم فريدة الناعمة. وبإبتسامة هادئة أجاب : أنا لا أعلم ماذا سيكون وضع أبنتي خاصة أنها تمثل تعويضا لجدتها بعد ما فقدت إبنتها ... ولكنني أقدر جدا رغبتك هذه وأحترمها وأعدك أن أسعى لها .

تابعت بعد أن خرجت أم محمود و تغلبت فريدة على خجلها إثر نظراته الفاحصة : فهمت أنك تتكلم في إستقرار خارج مصر بعد الزواج ؟

- نعم .. فأنا الآن أبدأ طريق مهم جدا في حياتي المهنية و لن أستطيع الإستقرار في مصر مرة أخرى قبل عدة سنوات قليلة ..فأنا أنتوي تربية أولادي في مصر حيث الأهل والأصدقاء و لا أحب لهم الإغتراب..بالمناسبة سمعت أنك قضيت أغلب طفولتك في الخارج ..؟

- نعم .. فعمل أبي تطلب منه الكثير من السفر و الإنتقال بين العديد من الدول العربية و الأوروبية و غالباً ما كنا نرافقه في سفره .. فهو عاشق لأسرته و يخشى علينا كثيرا .

- حسنا هذا يعني أن وضع الزواج في بلد جديد لن يكون صعباً عليكِ..أعني بفرض أنك وافقتي ، و ابتسم بثقة كبيرة .

أصابتها الفكرة بإنقباض رهيب... فذكرى السفر و الإبتعاد عن أهلها مرتبطة بزواجها الأول .. و لكن ..

- العبرة ليست في المكان يا باشمهندس .. العبرة بالصحبة و كما قالوا قديما: الجار قبل الدار ،، قد أكون وسط الجحيم و قلبك لي جنة و في أحضانك أجد السكينة و الأمان.

اتسعت إبتسامته و اعتدل بحماس على طرف الكرسي مما زادها خجل بعد أن فكرت في ما قالت ..

- أستأذنك

إلى أين ؟ لحقها بعينيه مظهرا رغبة قوية ببقائها

أردفت بإرتباك : إحم .. سوف أحضر بعض الضيافة و ..

قاطعها بسرعة : لا لا .. لا نحتاج لشيء .. من فضلك اجلسي و لنتابع حديثنا.

رجعت لكرسي الأميرات الذهبي و هي تخشى أن يسمع ضربات قلبها البكري ..

فهذا القلب الصغير ملَ جفاء الصحراء و أشتاق لقليل من الندى ليروي جفافه ..لقد حبَسَتُه صاحبته حبس إنفرادي منذ سنوات و كان كلما دق إستشعرت خطراً عليه زادت من رقابته و زادت عليه الأقفال الثقال .

- هل جننتي يا نهى ؟ بماذا تقنعيني الان ! أن أرمي ابنتي لرجل يبدو عليه أنه طيب و ابن حلال !!!

-لا يا فاضل أنت لا ترمي ابنتك أنت تُعزها .. مهما دفع من مال و قدم من ضمانات فهذا لن يُكفي قدرها و لكني أقول لك أن تعامله مثل ابنك فارس .. تخيل أنه بمثل ظروفه و فقد زوجته و لديه ابنة و أراد أن يحصن نفسه بالحلال و ظروفه لا تساعده ..ما سيكون شعورك و إحساسك وقتها ؟؟ ألن ترغب بتقدير من أهل العروسة .

- ولكنني لم أرَ له أباً و لا أخاً و لا صديق حتى !! لا أعلم بأي ظروف سوف تعيش ابنتي ..ألم نتعلم من تجربتنا الأولى ..نفس السيناريو ؛ زوجناها لذاك المأفون و سافرنا و الان تسافر ابنتي لتتزوج ببلد

غريبة و تصير بكنف رجل غريب !!؟؟ لا لا .. ثم لماذا لا يأتي هو هنا و يقيم لها حفل زفاف مشرفا و يقضيا شهر عسل ثم يسافرا..

- لأن هذا يؤخر زواجهم سنة أو أكثر ..و لا معنى لذلك التأخير للولد و لا للبنت .. و لا معنى لكل هذه النفقات و المظاهر..ألا تريد أن تفرح بأنها استقرت و تحمل حفيدك ؟!

- ماذا ستقول الناس عنها يا نُهى ؟؟ قد يظنوا بها الظنون إذا تساهلت أنا في كل هذه الأمور ..ألا يكفينا ما حدث لها من جرح و أسى ؟

- أحتسب الأمر لله و لن يكسر خاطرك ... أحتسب عند الله نية تزويج شاب و تحصينه و تخلق بخُلق صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم. ثم أن فرحة ابنتك أن تبدأ حياتها و تستقر ببيتها و ليس في المظاهر و الناس.

-هو نفسه قد يُظن أنها رخيصة و أن لا قيمة لها عندنا.

-و قد يحمل لك هذا المعروف لبقية عمره و يقدرها لأنك يسرت عليه و لم تكلفه ما لا طاقة له به..

و صمت الدكتور فاضل على مضض.

- موافقة يا أبي

- موافقة على ماذا يا فريدة ؟

- على الزواج من المهندس هيثم .

- لماذا يا ابنتي ؟؟

- و لماذا لا يا أبي !!

- أخبريني بأسباب قرارك

- يظهر لي منه أشياء طيبة في كلامه و أسلوبه و يبدو أنه رجلا دَيِناً و أيضا هو مرَ بمأسآة وفاة زوجته و لديه طفلة صغيرة تحتاج لأُم .. وأنا أحتاج لثواب تربية و كفالة هذه الإبنة في إحضاني ..لعل الله أرسلها لي و أرسلني لها لتُعوض كل واحدة الأُخرى .

- بإبتسامة حسيرة رد الدكتور فاضل : حبيبتي هذه أسباب إنسانية للتعاطف مع الشخص و ليست أسبابا تجعله صالحا للزواج منك.. أنا لم أر أحدا من أفراد عائلته بعد و بيئته التي يحكي عنها تختلف تماما عن بيئتنا .. أنا لا أميز أو أعيب .. و لكن التكافؤ مطلوب جداً.. و إن كان لا غبار ظاهر عليه لكنه غير مناسب لكِ تحديداً.

- أنا تحديداً!... لماذا يا أبي ما بي ؟

ربت على كفها البارد و هو يقول: لأنك مختلفة عن الكثير من بنات جيلك ..لأنك متميزة جداً و قوية جداً و حنونة جداً .. لأن لديكِ من المقومات و الصفات التي تتطلب رجلاً خاصاً.

بنظرة كسيرة و إبتسامة ممتنة مما قاله عنها والدها أجابت:و غالبا أنا لن أجد (صاحب المواصفات الخاصة) هذا إلا على كوكب زُحَل ...

-و لكن إمكانياته المادية ضعيفة جدا .. لن يدفع لك مهرا مثل بنات العائلة و لا بيتا أطمئِن عليكي فيه و لا أعلم كيف سيُنفق عليكي في بلاد الغُربة !!

ضمت أصابع يدها اليمنى و هي تحاجي أباها بصوتها الهادىء و بمنطقها: أتذكر يا أبي ذاك الوغد الذي تزوجته سابقاً .. ألم نسأل عنه و نرى أهله و دفع لي مهراً و كانت له شقة كانت سجني ... لعل الان هذا الرجل هيثم يكون بلا مال و لكنه يعوضني عما فات و يجبر الله به كسري و لعلني أكون له خير متاع الدنيا ... ثم أن أقلهُن مهوراً أكثرهن بركة يا حبيبي ..

- أنا أتفق مع فريدة يا فاضل ... فاجئهم صوت أمها و التي سمعت آخر كلمات قالتها فريدة لأبيها و تابعت : فريدة جدعة و تربَت جيداً و يبدو أن هذا الشاب ابن حلال و يظهر لنا منه حسن خلق .. و الأغرب أن أم زوجته السابقة تتكلم عنه بكل حُب و إحترام و هذا شيء مطمئن الحمد لله ..
ثم ربتت على ذراع زوجها مطمئنة له و تنظر له نظرة مذكرة إياه بحوارهما السابق: اترك الأمر لله و ثق به ..و الله يحفظها من السوء كما حفظها لنا أول مرة.
زفرة حارة خرجت من صدر الأب مستسلما لكلام العقل..محاولاً إخراس مخاوفه المشتعلة على حبيبته الصغيرة و مد يده للهاتف و هو يقول : حسناً سوف أهاتفه لأخبره أن يأتي بعد غد للغداء و الكلام في التفاصيل بما ان العروس وافقت ..

علت حمرة محببة على وجه فريدة و سارعت لغرفتها تداري خجلها و فرحتها .. !

ثوب هاديء ذهبي تصميمه بسيط راقي جعل من جسدها في تلك الليلة قطعة فنية وكعادتها بلمسات بسيطة من المكياج أضائت وجهها و تصفيفة ناعمة مرفوعة لخصيلات شعرها الناعم الخفيف كانت مثالاً للبساطة و الجمال. تَجَمع أفراد العائلة في قاعة مناسبات لمسجد شهير و تم عقد القران في أجواء هادئة مرحة و وسط تهانيهم و تبريكاتهم دخل عليها هيثم ليُلبسها حُلي الشبكة بعد أن تمسك أبوها بذلك الشرط مقابل تأجيل المهر و السكن لحين تيسرهما. كان يأتيها عند بيت أبيها في الصباح ليتنزها سوياً و يتكلما و يعودا في المساء ليقضيا بعض من الليل في صالون بيت أبيها و بعد خمسة أيام من عقد القران ودعها على باب المطار راحلاً لبلد عمله تاركا إياها على وعد أن يلتقيا لبناء أحلام غدٍ قريب مشرق جدا .... جدا !

****

أنا فقط كُنُت أشتاق إلى حضن دافيء صادق يحتوي ضعفي و إحتياجي..أنا فقط كنت بحاجة إلى أقل مقدار من الحب و بعض من العِشرة المخلصة و تقدير بسيط... زهدتُ في كل شيء طالبة مظلة تحميني من يوم ماطر.. و ها أنا أقف حاملة عصا مكسورة لا تُغني و لا تصلُح إلا لأهُش بها بعض الذئاب!

من مذكرات فريدة

****

قالت لها أمها و هي تُخفي دمعة و تساعدها في إعداد حقيبتها : كُنت أتمنى أن أزفك الليلة بفستانك الأبيض و أفرح بفرحك .. ليس معقول

بعد كل هذه السنوات تذهبي من أمام عيني بلا أي فرحة أو إحتفاء و تكوني بمفردك في أولى لياليكي معه في بلاد غريبة..!
احتوتها فريدة بين ذراعيها تُطمئنها و تقول بقوة استمدتها من أحلامها الوردية المستقبلية :يا أمي الفرح فرحٌ في القلوب بالأساس و إذا أراد الله لي سعادة سأراها من دون فستان أبيض أو زغرودة .
- و بالرغم من رغبتي تلك في الفرح بك إلا أنني أوصيك يا بنتي بزوجك خيراً فهو باب من أبواب الجنة ..أنت الآن على أعتاب حياة جديدة تحتاج لإهتمامك و عطائك و أن تجاهدي ..قد تصعب عليكِ بعض الأمور لكنني واثقة من حكمتك و عقلك و قلبك المتعلق بالله .. أوصيكي بحسن التبعل لزوجك و أن تقدري ظروفه و حياته و تستري عيوبه و أن تكوني مصدر السعادة المشع في البيت كما عهدناكي طوال عمرنا.
ودعت أمها و أخوها، و على الرغم من فقر حالته الصحية أصر أبوها على مصاحبتها لتلك البلاد و كانت لديه تأشيرة دخول سارية ... أنتهت إجرائات السفر في المطار في لحظات ..لحظات و كانت الطائرة تتراقص بين سُحُب الأمل و السعادة .
كان بيتاً كئيبا جدا لا يرى الشمس و نوافذه مرتفعة ضيقة جدا.. أثاثه مُستعمل و رائحة غريبة تنبعث منه ، بأسفل البناية محل فُران للخبز مما زاد من حرارة البيت و صهده .. لم تنتبه لنظرة أبيها الحسيرة عما رأى و ما دار بخلده عن ابنته المسكينة .. لو كان بيده لأخذها من يدها و رجع بها و أراح قلبه من كل هذا القلق الذي يشعر به و الذي بدا له أنه صائبٌ فيه .. و لكن ما باليد حيلة فابنته مخمورة و عقدت كل سعادتها و أمانيها على هذا الزواج و هذا الرجل ! بينما كانت في غرفتها الجديدة تخرج من حقيبتها حقيبة صغيرة كانت أعدتها لليالي

الزواج الأولى...بها من العطور أشهاها و من الملابس أكثرها جمالاً و إثارة ...

تنحى أبوها بزوجها في الغرفة المجاورة و قال: يا بني بكلمة من الله أنا سلمتك ابنتي و حبيبتي وقلبي .. يا بني أستحلفك بالله أن تحفظها و تُعمل معها قاعدة رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أحببتها أكرمتها و إن كرهتها لم تظلمها ...بالله عليك يا بُني تذكر أن لك إبنة فلا تجرح ابنتي أو تكسرها و تذكر أن خيركم خيركم لأهله ... سوف أطلب منك طلباً يا هيثم وهذا حق الله قبل أن يكون حق ابنتي ..أريد منك أن تثبت لها حقها في مهرها و تكتب لي ورقة بأنك سوف تسدده لها أول ما يتيسر لك ..أنا لا آخذ مهر ابنتي لأنه حقها و هذا الحق حكم الله لها به من فوق السبع سموات.

أتى هيثم بورقة و كتب فيها أنه يدين لزوجته بمبلغ في مقام مهرها وسلمها لأبيها ليطمئن قلبه .. و رد على أبيها ب: هي في عيني يا دكتور فاضل أطمئن .

ودعها أبيها بكل ما ملك من حنان و شوق لها و قفل راجعا للوطن ولم تعلم آنذاك أنه كان وداعه الأخير لها ...!

****

أحبت أن تعوض زوجها عن ليلة الفرح التي تنازلت عنها تقديرا له فاختارت إرتداء قميص نوم أبيضاً متعدد الطبقات تتأرجح خامته بين الحرير و التُل الشفاف و الدانتيل المشغول و من فوقه روبا حريريا من نفس لون و قَصةَ القميص وضعت على رأسها تاج ماسيٌ ناعم جدا لتُصبح أشهى عروس بليلتها. كانت تجن شوقا لزوجها بعد ما أذاقها من أحضانه و قبلاته بعد قرانهما و تنتظر اللحظة الحالمة . .... نعم لم تختبر شعور العلاقة الزوجية من قبل و ملأتها الرهبة بسبب

ذكراها المؤلمة ... و لهذا بررت إحساسها الحالي بعد لياليها الأولى من الزواج!

- يبدو أن هذا هو الزواج و أنا أفهمه بشكل خاطيء! كان الخاطر يدور برأسها ففي كل مرة يقترب منها زوجها .. كانت كلما بدأت تتفاعل و يشتعل إحساسها تُفاجأ بأن الأمر أنتهى و أدار لها زوجها ظهره لينام ! عملية بيوليجية ميكانيكية بحتة لم تفهم ما سرها أو لذتها .. و الأعجب رغبة الناس الجامحة في الزواج !!

لكنها لم تستسلم لأفكارها ... بل كل ما أهمها و شغل بالها إسعاد زوجها و إنجاح حياتها الجديدة ..

****

أعاهد نفسي أمام الله أن أبذل كل ما في وسعي لإسعاد شريك حياتي و أن أتنازل عن كل ما يُعكر بيننا مرضاة لله الذي قدر لي هذا الرجل زوجا و أن أكون مصدرا للسعادة و للفخر لجميع أسرتي ... أعاهد نفسي أمام الله ألا أتألم أو أظهر إستياء من أي شيء و أن أرتدي نظارة القناعة و الرضا حتى أتم رسالتي و ألقى ربي.

من مذكرات فريدة.

****

و قد حدث ... !

كرست فريدة نفسها لخدمة بيتها و رجلها متناسية كنهها ..ذائبة في حياة ذات أبعاد ضيقة جدا..

كانت كلما واجهتها مشكلة في تدبير أمر من أمور منزلها سارعت بسؤال أمها أو جدتها فريدة الكبيرة و قد تبحث عن طريق الإنترنت و المنتديات النسائية عن أفكار و حلول منزلية لتطوير مملكتها. و على الرغم من أنها كانت مخدومة في بيت أبيها إلا أن أمها حرصت على

تعليمها أساسات و قواعد تدبير المنزل و الطهي و ما قد تحتاجه أي فتاة لتسيير أمور بيتها الأساسية.
كانت مُرهقة تلك الليلة ساهرة تضع مخططا لترتيب خزانة ملابس زوجها حيث أن ملابسه كثيره و متنوعة بين البدلات و السترات و غيرها و أرادت مفاجئته بأفكارها التنظيمية الجديدة حتى سمعت مفتاح الباب يدور و أقبل زوجها لتنتفض من مجلسها و تهرع إليه لتحتضنه..
- حبيبي .. أشتقت لك كثيرا ،، أكره عملك المسائي لأنه يزيد شوقي لك .
أبعدها عنه بجفاء يشوبه قسوة و دخل ينفخ بالهواء زفرات حارة .
- حبيبي ما بك ؟
- أريد أن أحدثك بأمر
- تحت أمرك ..تفضل.
- أعتقد أن زواجنا باطلا
- انتفضت فريدة و بصرخة مكتومة : ماذا ..!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!
- أنا لم أعرف أنك لست بكرا إلا بعد زواجي منك .
- ماذا !!!!! أنت بالتأكيد تمزح ..و لكنها مزحة ثقيلة جدا
- لا لا أمزح ,,, أنا لم أعرف
- كيف لم تعرف و قد أراك أبي الشهادة الطبيبة و حكت لك أمي كل التفاصيل في الهاتف قبل أن تدخل بيتنا أصلا !!!
-لا ..لا أتذكر أني رأيت أي شيء و كلامهم لم يكن واضحا
- كلامهم ؟؟!! طيب بفرض أن كل هذا لم يحدث على الرغم من تأكدي التام بحدوثه و عليه شهود ...إلا أنني حكيت لك قصتي

بالتفاصيل المملة و المؤلمة في أول سهرة لنا بعد عقد القران .. أتُنكر هذا أيضا ؟!
- لا ... أنتي بالفعل حكيتي لي و لكني تفاجئت منك لأول مرة بالقصة و قلت لنفسي كن كريماً و تابع الزواج منها على الرغم من نصيحة بعض أصدقائي لي ألا أتابع ...(صعبتي عليا)
بصوت يخنق أطنانا من الدموع ردت : و ما الذي حدث الان .. راجعت نفسك بعد شهرين من الزواج و أخذت قرارا بأن ترد البضاعة لأصحابها؟! و بحدة كسيرة سألته : ألم تكن تدري أنني متزوجة قبلك زواجاً شرعياً مُشهراً ؟ و رأيت ما يثبت ذلك من أوراق و عقود أم أنها أيضاً معلومة جديدة تعلمها لأول مرة ؟
- بلى ..كنت أعلم و لكن ..
- قاطعته بكبرياء هاديء : يعني أنت كنت متقدماً لي و أنت تعلم أن أنني مطلقة من زواج شرعي سابق أم أنك تنكر هذه المعلومة ؟
- لا لا أنكرها و لكنني..
- فما الذي يضيرك الان ؟؟!
- كنت أظنك بكراً و أن هذا الرجل لم يعاشرك ؟
- معنى الذي تقول أن هناك من قال لك أن هذا الرجل لم يعاشرني لعدم قدرته و أنه أوقع بي عند الطبيبة ..ثم دعني أعيد عليك الأمر؛ ما الذي يضيرك في هذا الأمر ...إذا كنت أنت متقدماً لي و أنت تعلم أني مُطلقة سواء كنت أمارس حياتي الزوجية السابقة بطبيعية أو لا ؟!
- لا أدري ..أنا فقط أخبركِ لكي تري ما هو الأمر الفقهي والشرعي ..لأني أخشى أن يكون زواجنا باطلاً و أننا نفعل حراماً إذا أستمرينا..
- أي حكم و أي شرع !! و لماذا لم تسأل أنت شيخاً عالماً قبل أن تلقي لي بمثل هذه القنابل ؟!

- لا وقت لدي .. لدي مشروع في العمل مهم .. يتقرر عليه ترقيتي لمرتبة أفضل و زيادة في راتبي و أنا بحاجة لهذه الزيادة .
تركها و هم الخطى تجاه الباب و خرج!!

دارت الدنيا و دارت ..و دارت ... هل ما يحدث هذا حقيقة أم أنه كابوسا أرخى بظلاله الكئيبة على أحلامها ؟
هل اتصل بأهلي أخبرهم ...؟ و لكنهم ليسوا حملاً لصدمات عني جديدة.. أنا كل يوم أبث لهم رسائل إيجابية عن جمال الحياة التي أعيشها و آمالي العريضة ... أفأكسر بخاطرهم و أزيدهم هماً .!
طيب ... ما هو المطلوب مني في هذه الحالة ..؟؟ هل أعد حقيبتي لأعود لوطني أجر أذيال الخيبة و الفشل للمرة الثانية؟؟ و ما الفائدة من إبلاغي الأمر و بهذا الجفاء..إلا إذا كان مطلوبا مني قرارا باتجاه ما ..!
آآآآآه ... آآه من الألم ..
ممسكة بصدرها تحاول الوصول لقلبها المعتصر .. جرت لدورة المياه لتفرغ أمعائها من غثيان عنيف أصابها
باتت ليلة مرعبة من سواد أفكارها و رعشاتها و قلة حيلتها حتى سمعت صوت قفل الباب يدور فأدركت أنه الصباح .. أجفلت و ترقبت.. و لكنه راح مباشرة على غرفته و بدل ملابسه و نام !
مر ثلاث أيام و هو يأتي البيت و يذهب و لا يتكلم معها ..بل و إن رأها نائمة في فراشها ينام بالغرفة الأخرى و لا يلقي سوى تحية عابرة غير مفهوم ما ورائها .

كان غثيانها يتزايد و بدات تظن أن عدوى ما أصابتها ..فهي لا تطيق رائحة الطعام و لا تقوى على القيام من فراشها و نوبات الغثيان و القيء لا تتوقف ..
تساندت و جَرحَها أنها تضطرلأن تبادره الحديث في هذا الظرف مخافة أن يظن أنها ترجوه لشيء.. و لكن التعب فاض بها و بألم حاولت إخفاءه هاتفته : السلام عليكم

- و عليكم السلام ؟

- من فضلك أنا متعبة جدا و كنت بحاجة لأن أرى طبيبا .

- لماذا ؟

- أعتقد أنني أعاني من إرتفاع بحرارة جسدي و بعض الغثيان ..لعلي ألتقطتُ عدوى ما.

- مممم.. طيب سوف أحضر خلال نصف ساعة ..كوني مستعدة.

****

مبروك يا بشمهندس ..مبروك يا أستاذة ..أنتي حامل.

حامل !!!

هل تفرح أم تحزن أم تخاف !

وقع الخبر عليها كان عجيباً جداً .. كانت تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر منذ أن بدأت تلعب بعرائسها في طفولتها .. و لكنها لم تتوقع أن

تُرزق بها بعد القنبلة التي ألقاها زوجها منذ عدة أيام . نظرت لزوجها و هي كاتمة غضب بركاني فوجدته يبتسم ..إبتسامة صفراء غير مفهوم ما تحمله .

جلسا في السيارة و بعد صمت لحظات سألته فريدة : ممم.. يا ترى ماذا سنفعل في هذه الكارثة ؟

- أي كارثة ؟

- كارثة الطفل الذي أتى من علاقة مشبوهة كعلاقتنا ..إذا كنت أنت متردداً أصلا بعلاقتك بأمه و هل هي شرعية أم لا فما هو حكم ابن العلاقة ؟!

ضحك بهستيرية قائلا : أوقعتي قلبي و أفزعتنيني بشدة...هههههههههه.... أنتي ..أنتي هههههههههههه لقد أخفتني فعلا هههههههه

كتمت خواطرها و حيرتها ... هل هذا أمر طبيعي .. أتراه مجنون .. أم أكون أنا مجنونة !!؟ أم أنه يدفعني للجنون ؟

بعد أن هدأ من ضحكاته المخيفة قال لها بلهجة حاول أن يصبغها بحنان و هدوء مفتعل : أنتِ زوجتي و حبيبتي .. و ما في أحشائك ثمرة حبنا و لا تفكري بأي شيء آخر.

بدهشة أجابت : أنا أفكر ؟! أنا التي تفكر ؟؟ هل أنا من ...

أمسك يدها بقوة و قاطعها : شششششش ... أصمتي و لا تفكري بأي شيء غير أن أبني قادم بالطريق و لا شيء آخر.

صمتت .. و استجابت .. لعله فعلا نادما على ما قال أو راجع نفسه و وجد أنه أخطأ... أو لعل وقع خبر الحمل عليه أفاقه من ما كان يدور به من دوائر شك و ظُلم.. أو ربما كما تسمع دائما من الجدات و الخالات و العمات .. (غدا تأتي بالولد و يتحسن حال زوجك) و هي نصيحة تقال لكل النساء أيا ما كانت شكواهن .. حتى لو قالت لهن أنها تزوجت قاتلاً أجيراً !

****

نحن لا ننسى كسرنا و لكننا فقط نتغافل عنه .. و هذا سرنا

****

مر أول شهرين في الحمل بصعوبة بالغة .. و فريدة تقاوم .. تقاوم آلامها ووحمها ووحدتها و إكتئاب الحمل و تغير جديد يطرأ كل لحظة على جسدها و روحها ..تقاوم لكي تطبخ طبخة أو تغسل غرضاً أو تنظف غرفة .. تقاوم لأنها عاهدت نفسها و ربها على ألا تستسلم وألا تبث سوى سعادة لزوجها و تخطط كل الأحلام الجميلة لإستقبال وليدها .. أجمل و أعز هدايا الله لها.. حتى ضربتها حمى شديدة وإلتهاب قاسي لم تتمكن معه القيام من فراشها فكانت تنام أكثر من نصف اليوم غير شاعرة بما حولها ..و زوجها أغلب يومه في عمله ..

كان ذلك مساءا عندما شعرت بحركته في البيت فنادته بضعف و دب الإطمئنان بقلبها .. هي بحاجة له الآن أكثر من أي وقت آخر ..هي

بحاجة لأبيها و أمها و أهلها و هو بالتأكيد سيعوضها عن كل أولئك بدفا احضانه .. تربيتة من يده كانت كفيلة بأن تعيد لروحها الطاقة و لجسدها العافية .. كلمة حانية تجعل للمغترب وطنا و تحول الحمى لبردا و سلاما.

دخل عليها زافراً بقوة و بوجه متجهماً عابساً لم تلاحظه أجاب : أفندم؟

- الله يخليك ..أريد بعض الماء و إذا ممكن ليمونة من الثلاجة ..

- ممم..

أتى لها بكاس الماء و ماكادت تضعه على شفتيها حتى رأت نظرته النارية الصامتة مما دفعها للسعال بقوة ..

- خيراً ...أهناك شيء ما بالعمل ؟

- عمل؟ أي عمل ؟! أهناك شيء؟! ..بل أشياء في هذه الخرابة التي نعيش فيها.

كان صوته بدأ يرتفع و نبرته تزداد حدة .. و مازالت علامات الدهشة العارمة مرتسمة على وجهها .. و بصوت ضعيف تسائلت : أي خرابة ..لا أفهمك .

و بعصبية شديدة أجاب و هو يجوب الغرفة : لا تفهمي ؟؟! لا تفهمي ماذا ؟؟

لا تفهمي أن ملابسي تراكمت في السلة و جواربي كلها متسخة؟ ..أم أن رائحة الشقة بقايا الطعام و القمامة أم أن الأرضيات لم تُكنس .. ما

الذي لا تفهميه ..هه.. أنني آكل منذ يومين بقايا الطعام أو من المطاعم .أم أن هذا الفراش لم تتغير ملائته أم ماذا ...؟ أأترك أنا عملي و أقوم بتنظيف البيت لحضرتك؟! ...نعم ..يبدو أن هذا هو المطلوب ..و كأنني لم أتزوج أصلا ..

بلهجة استجداء قالت :أنا آسفة و لكنني والله مريضة منذ يومين و حتى لم آكل و لا ..قاطعها بسخرية ..أأنتِ أول إمرأة تحمل طفلا بأحشائها أم ماذا .. لستِ أعجوبة فكل النساء تحمل و تعمل ببيتها بل و هناك من تذهب لعملها أيضا لتساهم بمصاريف البيت و لم تشتكِ من أي شيء...ثم تركها و خرج بعد أن صفع الباب ورائه بقوة اهتزت لها النوافذ !

****

بعض الأمور لا قيمة لها طالما فات وقتها.

****

صامتة..مقهورة ..تتفلت من بين أيديها تلك الأحلام حلم تلو الآخر و أمل يخفت ضوئه تدريجيا .. عجيب جدا أن كل فرحة توأد قبل ولادتها!

جذبت ورقة و قلماً و بيد مرتعشة و قلبها يعتصر كتبت لزوجها :

بسم الله الرحمن الرحيم

زوجي الحبيب

والله أنني عاهدت الله على أن أبذل قصارى جهدي لإسعادك لتكون باباً لي إلى لجنة و سلمت لك قلبي و أحلامي لظني أنك فارسي و رجلي الذي رجوته من رب العالمين .. و أنت تشهد أني تنازلت عن كل شيء مرضاة وجه الله و لكي يبارك الله لنا في هذا الزواج ..حتى أن أبي و أمي أعتبروك ابنا لهم و ما أرادوا أن يشقوا عليك و لا يحملوك فوق طاقتك من مصاريف سفر أو حفل زواج أو غيرها و تكفل أبي بإيصالي عندك ولكن يبدو لي من عبوسك الدائم و تجهمك المستمر أنك غير مستقر معي و لا سعيد و كل تصرفاتك و كلماتك لا تدلني إلا على ذلك .. فإذا كنت غير مرتاحاً من هذا الزواج أو تشعر أنني عبء بشكل أو بآخر فأرجوك كن كريماً معي وسلمني لأبي كما تسلمتني منه و ليعوض الله كلا منا و هذا أكرم لي ولك ..فلا أنا أقبل هذه المعاملة و لا أرضى لك هذا الأسلوب أو أن أراك غير سعيد .

زوجتك/فريدة

تركت الخطاب بمكان ظاهر له و نامت متأثرة بدموعها. لتستيقظ على صوت هيثم بجانبها يناديها بصوت هامس و بنبرة نادمة قال لها .. أنا آسف ، أنا لا أستطيع العيش دونك فعلا ..قبل يديها و تابع : خطابك هذا نبهني لأمور كثيرة جدا كانت غائبة عن بالي .. حقا أنا آسف ولنبدأ صفحة جديدة كلها تراضي و إهتمام و مراعاة للمشاعر. ثم أحاط بجسدها ليحتنضها.

و كأن عصا سحرية مست روحها ..اتهمت نفسها بالتقصير و بظلم زوجها و عاهدت نفسها على مزيد من العطاء و العمل قاهرة أي ألم يلم بها .. أقبل شهر الصيام فتباركت و سعدت جدا أن تقضي أول

رمضان لها مع زوجها و جنينها ..مازالت أعراض الوحام تنال منها و لكنها في سبيل إبتسامة ترتسم على شفاه زوجها أو كلمة تقدير بسيطة جدا قد تبذل من نفسها الكثير .

اتصل بها من عمله قائلاً :هل تستطيعين طهي طعام لخمسة أشخاص؟

- خمسة أشخاص ؟! خيرا ما المناسبة ؟

- أريد أن أدعو عدة أصدقاء لي على الإفطار الأسبوع القادم و أريد أن أعرف هل لديك القدرة أم آخذهم إلى مطعم للأكلات المصرية الجاهزة؟

كادت أن تعتذر له و تجيبه بأنها لا تطيق الوقوف بالمطبخ و أن رائحة الطعام تكاد تقتلها و الدوار يتلاعب برأسها إلا أنها شعرت أنه أمر يهمه بشدة و سوف يسعده و يشرفه أمام أصدقائه .. و بمنتهى الحماس أجابت: طبعا تحت أمرك و لكن الأمر قد يكلفنا قليلا و يخرج من نطاق الميزانية الموضوعة ..

- لا لا ... لا تلقي بالا لأمر المال أكتبي لي ما تحتاجينه لخمس أفراد و أريد قائمة طعام فاخرة جدا ...أراكي في المساء.

فاجأها بعد يومين أن عدد المدعوين يزداد و أن هذا رغماً عنه و لكن كل صديق أخبر الآخر و لا بد لهم أن يأتوا ليهنؤه على زواجه ..ظل العدد في تزايد حتى وصل لثلاثين شخصا !!

هالها الأمر .. فلا معين لها سوى الله و حملها يُضعفها و مطبخ المنزل غير مُعد أصلا لخدمة هذا العدد خاصة أنهم ثلاثين رجلا صائما!!

لكن هيثم متحمس و سعيد و أوداجه ترتعش فخراً و فريدة يمكن أن تضحي بعمرها مقابل أن تكون سبباً في إحساسه هذا.. إذاً لا تراجع و لا إستسلام.. بذلت قصارى جهدها و فكرها .. منهكة ولكن منتشية بما تحقق له من السعادة و الفخر أبدعت و أتقنت حتى وفقها الله ..كان أمراً مذهلاً حتى لزوجها نفسه فضلاً عن ضيوفه الذين ظنوا أنه استأجر فريقا من الطهاة المتخصصين ليقوموا بمثل هذه المأدبة الأسطورية

- أنتِ رائعة ..! ابتسمت في سعادة غامرة ..كانت نائمة بعد هذه المعركة و لم تشعر إلا بدخوله عليها ليشكرها و في ملامحه زهواً أكبر من أن تحتويه بعينيها ؛ تابع قائلا : سوف نذهب لصلاة التراويح و أعود فوراً للإطمئنان عليكِ . أومأت برأسها غير قادرة حتى على الكلام .

نعم كانت تحبه .. أحبته لأنها أرادت حبه .. كل ما أوجعها أمر منه تغاضت و تزين لقلبها كل صفة في شخصه و طبعه .. كانت تحب أن ترضيه بكل ما تملك ..حتى في أبسط الأمور ..ذوقها في الملابس تغير لإرضائه حتى كحل عينيها غيرته لتصير كما يتمنى و يشتهى ..لا تتكلم إلا فيما يهمه هو من أمور و لا تطهو إلا ما يحب هو في الطعام و لا تتعطر إلا بما يروق له ..و كان كلما أبدى لها إهتماماً بسيطاً جدا ضاعفت إهتمامها من فرحتها أنه لاحظها

كانت له واحة الأمان و العقل الراجح.. تكفكف مخاوفه أيا كان سببها .. فهو كثير القلق بخصوص عمله و منصبه دائم الاقتناع بأن كل من حوله يتآمر عليه .. تمده بخبرتها في اللغة و تطمئنه أن غدا سيفتح الله

عليه من أبواب الرزق و الخير ما لا يتخيل... و في المقابل تخنق قلبها كلما أشتهى لحظة عطاء أو أشتاق للمسة حب.

أوشك حملها على منتصفه و كانت تتألم كثيرا من البيت و حرارته شديدة الإرتفاع بسبب محل الخباز الذي يبثهما صهدا زاد من سخونة الهواء داخل البيت فقررت أن تفاتح زوجها .. كان نائما بجوارها بعد لحظة حميمية و بصوت هاديء و هي تداعب خصلات لحيته همست: حبيبي ، أحتاج أن أتكلم معك بأمر.

- ممم ... خيرا

- ما رأيك أن نستأجر بيتا آخرا .. أعني أننا يمكن أن نبحث عن منزل في نفس المنطقة بنفس القيمة و لكن يكون أفضل قليلا من هذا البيت .

- و ما به هذا البيت ؟!

- لا أرتاح فيه أبدا ..لا تدخله الشمس طوال النهار و حرارة الفرن تكاد تخنقني في النهار و أثاثه به رائحة ليست طيبه أبدا ..

- و لكن هذه تكلفة كبيرة ..أن أستأجر بيتاً جديداً الآن و أشتري أثاثا... لا لا يمكن.

- حبيبي أنت ترفض الأمر دون دراسته ..لكن لعلنا إذا بحثنا أو سالنا بعضا من معارفك في العمل دلوك على شيء و إذا وجدنا الأمر أكبر من طاقتنا أعدك أن أصرف عنه النظر تماما

أعتدل بمجلسه متعصبا : ما تقولينه مستحيل تماما .. فهذه الشقة هي أفضل ما رأيت و الأقل سعراً ثم إنك تعلمين جيدا أنني ما زلت أسدد ديون الزواج .. أنا لم أضع في حساباتي أن نتزوج إلا بعد حوال سنة و طالما أنكم بكرتم الأمر فاضطررت أن أستدين بعض المال و و أنا أكره أن أكون مديناً لأحد أبدا .. فلنتحمل هذا العام حتى أسدد ديوني و ندخر بعضا من المال يكفينا للإنتقال.

بدهشة صادمة و صوت خافت غير مستوعبة ما المقصود من قوله قالت : يعني أنت لم ترد الزواج الان ؟! و لكنك أبديت لأبي أنك ممتنا جدا لأنه تغاضى عن كل تلك التكاليف و التأخير .. ألم يكن يعني هذا لك شيئاً !!

قال مدافعاً عن منطقه : يعني الرجل كان كريماً أفأرفض كرمه ثم أن هذا أمراً محرجا ..أيقول لي أنه يراعي ظروفي و يأتي لي بابنته و أرفض مثلاً ؟؟ لا لم أكن مستعداً و لكن حدث الأمر فلا بد أن تقدري معي الأمر و لا تحمليني فوق طاقتي .

كتمت دموعها و ابتلعت سواد أفكارها فكبريائها لا يسمح لها أن تبكي أمامه فكيف سوف يُقدر هو بكائها هذا و على أي أساس ..إذا كان يفسر الأمور على هذا النحو !!

هاتفها من عمله بعد يومان و صوته متحمساً قائلاً : والله أنتِ بك شيئا مباركا .. لقد قال لي صديقي على سكن قد يصل سعره إلى ما ندفع الآن و هو في بناية جديدة و لكنني لا بد أن أنبهك أننا سوف نأتي بأقل أثاث ممكن و سوف نأتي به من سوق الأثاث المستعمل لأن لا طاقة لنا بأي شيء جديد ..

تناست الألم و أقرت له بامتنانها و سعادتها وكعادتها تأملت معه بداية جديدة أكثر إشراقاً و سعادة مستبشرة بالبيت الجديد و بأهم حدث اوشك على تغيير مسار حياتها.

****

رحل أبي ! و معه رحل الأمان و السند..

رحل و عانيت بعده اليُتم.. لستُ يتيمة بمقاييس الدنيا و لكن هل يعرف اليُتمُ عُمراً؟

رحلت يا سندي و غطائي.. و تركتني لم أرتوِ من حنانك.

لماذا لم تُخبرني برحيلك لأستعد ..أستعد أنني سأفارق بعدك الضحكات و سهرات سمرنا التي لم تنتهي أبدا!!

كل ذكرى كانت لي معك زادتني شوقا لك ..

أتذكر يوم إمتحاني و أنت جالس بسيارتك تبتهل الله ليوفقني ..أتظنني لم أرك ذاك اليوم؛ أتظن أن دمعتك يوم زواجي كانت خافية علي!!

رحلت و تركتني على تلك الصخرة في الصحراء أنتظرك .. أنتظر موعدك الذي لم يتأخر عني يوما .. أشتقت لأحضانك لتملأني فخراً كما عهدتها ..أشتاق أن يحيطك أولادي و ألتقط لكم صوراً في مناسباتهم الخاصة .. و أن أسمع صوتك و أنت تُحفظ أبني آيات القران الكريم ..

أشتقت أن أسمع صوتك و أنت تنادينا لنتحلق على وجبة السمك التي كانت تجمعنا كل يوم جمعة بعد الصلاة..

أصبح لا طعما للسمك كله بعدك ..

أتذكر كل البلاد التي ذهبنا لها و كل الرحلات التي سافرناها..

و تلك السيارة العملاقة التي أخذتنا بها لرحلات العمرة و الحج

رحلت يا أبي و أنا ما زلت لم أكتفي منك و لم أشبع من حبك

رحلت و تركت لي دمعة لا تجف تبكيك كلما كتبت أسمك بعد اسمي .

من مذكرات فريدة

****

بعد ولادتها لطفلها الأول طار عقلها ... كان زوجها يقضي أغلب أيام الأسبوع بعمله و عند عودته يشاهد الأخبار أو يلاعب الصبي ثم يخلد لنومه و كانت هي تقضي معظم يومها تكتشف الصغير الذي جاء كقبلة على قلبها و كأن الله يمنحها واحة سلام بعد كل سنين المعاناة و الحرمان ...و على الرغم من سهرها و ارهاقها إلا أنها كانت تستمتع بكل لحظة مع طفلها.

كانت تفتقده بشده... حبيبها الذي لم يأت بعد....تنظر إلى عيني زوجها فتجده لا يراها .. دائم الإنشغال ..متجهماً ..لا حوار يبدأ بينهما و إن بدأ لا يكتمل .. و مازالت تتأمل!

******

أنا في إنتظار اليوم .. اليوم الذي نبدأ معا فيه معاً قصة عشقنا .. بالتأكيد عندما يزداد ماله و يستقر حاله يرتاح باله و يراني و ساعتها يناديني لأحضانه لأنهل من حبه و عطائه .. بالتأكيد ستأتي اللحظة التي يراني فيها و يسهر معي نتحدث عنا حتى الصباح و نتبادل الضحكات و المزحات .. هو فقط منشغل و لا بد أن أقدر و أتحمل و أنتظر ... أنتظر تلك اللحظة .

من مذكرات فريدة

استيقظت ذات ليلة لتخبر زوجها انها رأت بمنامها فرصة عمل تأتي لزوجها.. عمل جديد في بلد أرقى و بمكانة عملية أرفع و بمعاش أكبر بكثير مما كان يقبض زوجها.. سبحان الله .. تحقق حلمها بتفاصيله كاملاً و ما فات إلا شهر و جاء العرضُ لزوجها و دخل البيت طائراً من فرحه غير مصدقاً ... و على قدم و ساق بدأت إستعدادات إنهاء كل المتعلقات في بلد إقامتهم الحالي .. و كالعادة تحملت فريدة مسؤولية تنظيم كل تفصيلة في البيت و الإعلان عن بيع قطع الأثاث و تجهيز الحقائب و غيرها من ترتيبات السفر و بعد شهر كانا في طريق عودتهم لمصر بصحبة الصغير و ما هي إلا أيام قلائل و ودعها زوجها ليسافر للبلد الجديد على أمل بإنهاء أوراق استقدامها له بأسرع وقت ممكن .
بدأت الأحلام تطرق أبواب قلبها البريء من جديد .. استغلت فترة تواجدها في مصر مع أهلها لتترك صغيرها في رعاية امها كلما سنحت لها الفرصة لتذهب لصالون تجميل أو محل ملابس أو لتمارس

بعض الرياضة لتستعيد رشاقتها و لياقتها .. أرادت أن ترجع عروساً لزوجها..هي تعلم الان ان كل المشاكل المالية انتهت و الأهم أن مواعيد عمل زوجها أصبحت أفضل من ذي قبل .. الان بإمكانه المجيء بموعد محدد لمنزله آخر اليوم فأصبح من الممكن أن تتكثف فترات تواجدهما سويا و يبدأ الحديث و تتفتح المشاعر ... نعم بداية جديدة تساوي أمل جديد و إحتمالات أكبر للسعادة

لكن ...عجباً !
شيئاً لم يتغير ...

- كل هذه النفقات يا فريدة في شهرين ؟؟! هائجاً مسوداً وجهه تابع قوله : أنتَ بالتأكيد مجنونة !! أتركك شهرين تنفقي ستة آلاف جنيه ؟! إذا كنت تاركاً لك في بيت أهلك ..مما يعني أنك تأكلين و تنامين مجاناً
- هيثم .. أنا أريتك كل فواتير و إيصالات ما أنفقت .. أنا لم أشتري شيئا منذ زواجي ..أحببت أن أسعدك و أغير قليلا من ملابسي و شكلي و جسدي.
-هههههههه ساخراً قال: هذا اللون النحاسي على شعرك أم كحل عينيكِ..هذا الذي تغير !! ثوبين نوم كلفوني ستة آلاف جنيه !!
مدافعة عن نفسها برجفة و ضعف أجابت :أنت لا ترى أن هناك نفقات خاصة بإبننا.. حفاظات ..و أدوية و ملابس .. هناك أيضا ملائات قطنية لأنك أخبرتني أنك تريدها و هنا ...
قاطعها ناهيا النقاش بحدة: على كل حال أنا تعلمت الدرس جيداً..و من هذه اللحظة لن يكون في يدك أي مبلغ من المال .
****

لماذا لم أستسلم لإحساسي وقتها و أقف وقفة شراء لكرامتي .. لماذا لم أبكي أمامه أو أصرخ أو أتخذ أي إجراء يشفي لي غليل قلبي الذي يتزايد كل يوم من هذا الرجل ... عجيب جداً !! ألا تهتز له مشاعر أو يرق له قلب !!

من مذكرات فريدة

****

ولكنها لم تستسلم لألمها و تحدت نفسها للمرة المئة ... سوف تبذل الغالي و النفيس ليلاحظها ... هي لا تطمع في حبه لها فالأمر أصبح شبه مستحيل .. و لكنها راهنت على أنها تكون مصدر الفرحة و البهجة في بيتها و أن تجتذب زوجها لواحة عطائها و حنانها .

أصبحت أكثر حيوية و عطاء.. تتجاهل جرحه لها المستمر و تجاهله و انشغاله .. تطهو ما يشتهي زوجها من أصناف و حلوى و تقرأ في علوم التربية المختلفة لتفهم حركات الصغير و لغته الجديدة حتى تفاجئت يوما أن بين أحشائها حركة أنبئتها بأن لصغيرها شقيق قادم ... حمدت ربها على نعمته و تابعت كفاحها حتى اقترب موعد وضعها فأتتها أمها لترافقها و تستقبل الجدة حفيدتها .

ابنة مليحة تخطف القلوب و بكائها كان كعزف الموسيقى الهاديء .. و بمجيئها ازدانت فريدة و تحلت .. كانت تُصبر نفسها أنه باقي دقة صغيرة و تكتمل سعادتها .. لعل بمجيء ابنة لهيثم يشعر فعلا بقرب زوجته منه و يبدأ في ملاحظتها و منحها من عطفه و اهتمامه ما تشتهي و تتمنى

كان وجود أمها في هذه الفترة بمثابة عاملاً مساعداً لها ... فهي الان تخطط لترك أولادها بصحبة أمها مطمئنة عليهم و تذهب للانفراد

بزوجها في أحد الفنادق الرومانسية الخاصة .. تريد أن تعطي له و لنفسها فرصة ليسبرا أغوارهما و يتعارفا ..
- لعل سرعة زواجنا هي السبب في أننا لا نحظى بأوقات كافية لنا كأزواج قالتها بإبتسامة مشرقة لأمها و هي تبحث عن طريق الإنترنت على أفضل عروض الفنادق في البلد
- فريدة .. أصدقيني يا حبيبتي القول ؛ أسعيدة أنتي ؟
انتبهت فريدة لنبرة أمها القلقة و لما قالت فسارعت بالرد و هي ترسم أقوى علامات السعادة على وجهها و بمرح أجابتها : طبعاً طبعاً ... الحمد لله يا أمي أنا في نعمة كبيرة جدا .. فلقد رزقني الله بزوج حنون و أولاد رائعين لم أكن يوما أحلم بوجودهما في حياتي ... أفلا أكون سعيدة بكل هذا!!
لكن الأمر لم يمربيساطة على الدكتورة نُهى ؛ هي إمرأة ذات خبرة و الأهم أنها أم .. أم منذ النظرة الأولى لوجه ابنتها علمت أن هناك أمراً ما غير مريحاً تعانيه أبنتها و لكنها لم تشأ التدخل حتى تقرر فريدة إشراكها.

قال هيثم و هو يبدل ملابسه : لا يا فريدة أنا غير موافق للذهاب بأي رحلة
أقبلت عليه تناوله منامته الزرقاء و هي تحاوره برغبة و صدق شديد..حبيبي أنت الآن تعترض من دون سبب واضح .. أنا و أنت بحاجة شديدة لنكون وحدنا و لو ليومين فقط لنتكلم و نتقارب
- نحن نتكلم بمنزلنا و لا داعي أبدا لمثل هذه المغامرات .. ثم أن هناك عملاً مهماً متراكماً لا بد من أن أنهيه و لقد نذرت أيام العطلة لهذا العمل.

- يا هيثم العمل لا ينتهي .. و لن يحدث أي شيء إذا تأجل العمل يومان ..و لكن هناك فرصة أن نكون وحدنا دون بكاء الأطفال و طلباتهم... ثم أحتضنته من ظهره ساندة راسها بين كتفيه : لقد وضعت لك برنامجاً رائعاً لتدليلك و تغيير مزاجك سوف يعيدك أكثر نشاطا و إقبالا على الحياة.
نزع يدها و دخل فراشه متلحفا بالغطاء و هو يقول : حسنا نفذي هذا البرنامج هنا و لا يحتاج الأمر إلى فندق ..انسي الموضوع ..تصبحي على خير.

جالسة على حافة النافذة تطالع الشارع بين قضبانها و دموعها تنساب بهدوء.. شعرت بخطوات خافتة تقترب ميزت أنها خطوات أمها فسارعت بمسح دموعها و استادرت تقول بمرح مصطنع : ما الذي يوقظك يا حلوة .. أكيد الأولاد.. سوف أذهب لأصنع لك كوبا من الشاي بحليب .. و سارعت تخفي وجعها بين جدران المطبخ آملة أن لا تكون لاحظت أمها شيئا من حُرقتها.. و لكن هيهات !
فالأمر كل يوم يزداد وضوحا لنهى ..ابنتها غير سعيدة ..فريدة تتألم و تُعاند ألمها.. أسلوب معاملة هيثم لفريدة واضح لكل ذي عينين وأسلوب فريدة المَرَضي في قبول هذه المعاملة وكذبها على نفسها أشد ما آلم نُهى..

- أيرضيكِ يا أمي ما تقوله فريدة ؟ قالها هيثم و هو جالس مع أمها على طاولة الطعام و فريدة تضع الطعام و أدواته.
- خير يا هيثم ..ما بها فريدة .. لو أبنتي قصرت معك بشيء والله أؤدبها.

- قال و قد ملأه ردها زهوا و بجبروت قال : هل تتخيلي أنها تريدني أوافق أن أصطحبها إلى فندق آخر الأسبوع لنبيت فيه يومي الإجازة !
- و ما الذي ترفضه أنت يا بُني؟ التوقيت أم المكان ؟
جاوب منفعلا : كل شيء يا أمي .. كل شيء طبعاً ،، التوقيت سيء جداً لأن لي فيه عمل غاية في الأهمية لا يمكن تأخيره و المكان و تكلفته...إحم ..أقصد أن فكرة أن آخذ زوجتي لمثل هذه الأماكن شيء غير مقبول طبعاً ... قد يكون هناك كاميرات تجسس ..فكيف أُعرض زوجتي لمثل هذا ..!! أنا شديد الغيرة عليها و لا يمكن أن أطمئن بمكان مثل هذا أبدا.
دهشة فريدة العارمة و صمتُ أمها المُحنك صورا له أنه ربح هذه الجولة بإكتساح.. فابتسم و تابع تناول طعامه حتى فاجئته أمها بقولها :
- معك حق يا هيثم... طبعا أنت رجل و من حقك تماما أن تؤمن زوجتك و تحفظها بل و أشكرك على هذا .. و لكن يمكن أن تجد بديلا .. فمثلا يمكن أن تذهبوا لقضاء نزهة خلوية سوية يوما كاملا و هذا أعتقد يكفي و يفي .
أرتبك مما قالت و بشعور فأر وقع في مصيدة قال مستجيباً: اااه ...ممم..طبعا طبعا ،، لا مانع لدي أبدا.. فلتختار فريدة المكان التي ترغب بالذهاب إليه و أنا موافق ..
طارت فريدة فرحاً و امتلأت نظرتها بإمتنان كبير.

خرجا بعد الساعة الخامسة مساء .. فطوال النهار كان هيثم يؤخر وقت ذهابهما بحجة أنه مُتعب و أنه ينهي بعض العمل و لم يكن يفعل شيئا سوى أنه يشاهد بعض مقاطع الفيديو الساخرة أو يقرأ عن الأخبار حتى كان المساء و أخيرا أستجاب لتوسلاتها و خرجا ليذهبا إلى مطعم

في منطقة هادئة راقية بها بحيرة عظيمة و جوها رائق و على نغمات الموسيقى الرومانسية الخافتة مدت يدها تربت على كفه لينفض كفه في سرعة و غضب قائلا : ما بك يا فريدة أجننتي! أتظني أننا في البيت .. راعي الآداب العامة .

أبتلعت ريقها في حرج هائل و ما كانت تظن أبداً أن هذا قد يكون رد فعله .

- آسفة حبيبي .. أنا فقط مشتاقة للحظة نقترب فيها سويا .. أنت لا تحمل يدي أبداً منذ زواجنا رغم أنه أمر لا يخدش حياء و لا ينقص منا و لكنه رمز بسيط على محبتك و إهتمامك.

- المحبة و الإهتمام لا يظهرا بمثل هذه الأمور التافهة .. هذه أمور تليق بالمراهقين .. نحن أزواج و لدينا أولاد الآن .

- و ما يضير المتزوجين يا حبيبي .. ألا تشعر بأننا نحتاج إلى أن نقترب من بعضنا أكثر .. أنا والله أحبك و أحاول أن أظهر لك دائما هذا و ..

قاطعها قائلا : ما هذا اللذي تقولينه !! أجئتي بنا هنا لمثل هذا الكلام الفارغ! يبدو أنك تشاهدين مسلسلات كثيرة أو أنك مريضة .. و أشار بيده آمرا : فريدة كُفي عن هذه الحماقات .. ثم لماذا لا تتهمي نفسك قليلا و تري ما تفعليه أنتِ ؟

ما أفعله أنا !..بتصديق لكلماته أسرعت تقول : إذا بي شيئا لا يرضيك أو قصرت بأمر أرجوك أبلغني ... تكلم معي .. لماذا تصمت .. أنا تحت أمرك و نذرت نفسي لإسعادك .

أربكه صدقها و برائتها .. نعم أرتبك جدا و لكن لم يكن ليعترف بذلك لها أو حتى لنفسه .. فرد كلماتها بهجوم أكبر : أنتي لا تعجبيني ..

أريدك أن تلتفتي لبيتك أكثر و لصلاتك أكثر ... لماذا لا تصلي قيام الليل كما تفعل والدتك ؟
ثم إن البيت دائما في حالة فوضى
- البيت ؟؟! قالتها بصرخة مكتومة فتابع بتجبر قاسي : نعم البيت يا فريدة ... أنتي لا تنتبهي للبيت جيدا و أمورا كثيرة جدا أمرها غير منظبط
- مثل ماذا ؟؟!
- مثل ...مثل... مم::: مثل جواربي التي أفقدها كل فترة و أشياء أخرى كثيرة لا داعي لذكرها ..ثم إني قد حملتك مسؤولية الميزانية المالية منذ فترة بأن تكتبي لي تقريرا أسبوعيا و شهريا و تصنعي لي دراسة مفصلة عن طريق برنامج (الإكسل) و لكنك تفعليها مرة و عشرة لا
- لأنني فقط قد أكون مشغولة بالأولاد و الطهي و النظافة و خلافه .. و حاولت كثيرا ثم أنني أؤيد كل شيء في دفتر الحسابات
- هذه ليست حجة لك .. لا بد أن تنتبهي أكثر لكي ندخر أكثر .. فأقساط شقتي أوشكت على الإنتهاء و سنبدأ بتأثيثها و أنا أريد أن أدخر كل قرش أم أنكِ تظنين أنني أريد أن أكمل باقي حياتي في بلاد الغربة!
كان يرى إنسياب دموعها و لكنه أصر تجاهلها و تابع حديثه : إن لم أكن أتحدث كلاما صحيحا فقولي لي .. و لكن صمتك و دموعك تلك تنم عن ندمك و تصديقك لما أقول.
- ندمي !!! يا هيثم نحن لا ننفق نصف ما ينفقه أي بيت .. و أنت الذي تأتي لنا بأغراض المنزل و لا حرية لي في ذلك ..و عندما لا يعجبك شيئا فورا تظهر إعتراضك عليه ... أنا لا أشتري أي أغراض تخصني تقريبا منذ أن أتيت هنا. و طبعا لك الحق في إدخار الأموال

لشقتنا لكن أنا هنا اليوم و كنت أطمع أن نتكلم عن مشاعرنا و أحاسيسنا و ليس كل ما تقول.
- لا تفتعلي كلاماً لا معنى له .. ما مشكلة مشاعرنا و أحاسيسنا ؟! الزواج يعني مسؤولية و بيت ثم أننا متزوجان منذ عدة سنوات فلا داعي لمثل هذا الكلام الماسخ .!
وطوال طريق عودتها لم تنبس ببنت شفاه.. بصمت تام تنزلق دموعها لتملأ راحة كفيها .
هل كانت هذه آخر محاولات فريدة ... لا .. بل كلما لاحت لها الفرصة حاولت و حاربت و تشبثت بكل ذرة أمل طامعة في أن تكون هي بداية التغيير و بداية عصر الحنان الذي حرقها شوقها له طوال السنين .. وكما أنها لم تكن آخر محاولات فريدة لم يكن هناك آخرا لعذابها مع زوجها.. فهو يزداد إيلاماً لها و قتلاً لمشاعرها المرة تلو المرة غير مدرك معنى صمتها و لا ملتفتاً لصوت نحيبها التي تعانيه كل ليلة وحيدة على إفريز النافذة.

كان هيثم يخرج مع أصدقائه و زملاء عمله كلما سنحت له الفرصة أو أعد لهم العمل مناسبة.. رحلات صيد و سفاري و سباقات سيارات و حفلات شواء و سهرات بأفخم الفنادق العالمية .. و كل ما صارحته فريدة برغبتها في الذهاب معه لهذا الفندق أو تلك السهرة يجيبها متصنعا: لا حبيبتي أنا لا أرضى أن تكوني بمثل هذه الأماكن .. فبها الكثير من الموبقات.
- موبقات !! مستنكرة تجيبه : و إذا بها موبقات فلما تذهب أنت ؟؟! متصنعا الضعف و المسكنة : لا قرار لي يا فريدة .. هذه أمور تخص العمل و شكليات هامة و علاقات لا بد أن أراعيها إذا كنت أريد

الترقية بالعمل .. ثم يربت على وجنتها قائلا بلهجة من يدادي طفلاً : هي أمور لا تفهميها أنتي بما أنك ست بيت .
يذهب و يتركها تُراجع كلماته حائرة تتسائل : ست بيت !! دفع نصف معاشه ليشتري بدلة سينيه جديدة و يقول لي مُضطراً !! و كل ما طلبت أن نخرج سوياً لنسهر قليلا أو نتنزه أو حتى نسير بالطرقات يقول لي أنه مُتعب و عينيه تؤلمه من كثرة العمل و بطنه تؤلمه و كل ما به متألم !! أو ربما الخطأ مني في شيء ما .. ربما يريد شيء ما أكثر .. و لكن ياترى ما هو ؟! أنا لم أترك شيئا يحبه إلا و فعلته و لا شيئا يغضبه إلا تركته ..جعلت منه إلها و تنازلت عن كل ما يخصني لأجل لحظات إهتمام أو سهرة كتلك الذي يقضيها مع زميلاته بالعمل ممن ليسوا (ستات بيوت)!

****

بلغت ابنتها ستة أشهر و أنتهت أقساط الشقة الفاخرة التي أشتراها هيثم في إحدى (الكمبوندات) الراقية بالقاهرة و أراد أن يبدأ بتشطيبها قبل أن تتزايد الأسعار و لكي يضمن سكنا جاهزا في مصر عند نزوله للإجازات السنوية و النصف سنوية .. كانت فريدة تعاني من إكتئاب خفي بعد سفر والدتها فمعها كانت أحلى لحظات السمر و عوضت فريدة بوجود أمها إحساسها الدائم بالوحدة و الصمت.
قال لها و هو يراقب رد فعلها : ما رأيك أن أرسلك مصر عند والدتك لتأتنسي معها و تغيري نفسيتك ..فأنا للأسف أقضي أغلب الأوقات في عملي و أنتي وحيدة هنا مع الأولاد و يبدو لي أنك متعبة .
أشرق وجهها بفرحة غامرة و قفزت تحتضنه و تشكره على إقتراحه و الأهم إحساسه بها ..بأنفاس مبهورة قالت: إذا أنت تشعر بي و بمشاعري و أحزاني؟

- طبعا يا حبيبتي أنتِ الذي يصور لك عقلك غير ذلك .. لا يوجد عندي أهم منك ..و ستكون فرصة جيدة لكي تختاري بنفسك أثاث المنزل و تشرفي علي مهندس التشطتيبات ..فهو بالأساس بيتك و لكن بشرط أن تسأليني و تُشركيني في كل كبيرة و صغيرة.
مندهشة ..فرحة ..مشرقة .. أنطلقت تعد امتعتها و أمتعة أولادها و بعد ليلة حميمة أصبحا في طريقهما للمطار مودعة إياه بوعدها له أن تنهي كل أعمال المنزل و تأثيثه قبل مجيئه ليستمتعا معا ببيتها الجديد و عهدهما السعيد.

****

حملٌ ثالث !!!
أجابتها الطبيبة بهدوء : نعم .. أنتِ ظننتِ أن رضاعتك الطبيعية لابنتك ستكون مانعاً طبيعياً و لكن للأسف لم تكن .. أنتِ الآن حامل بالشهر الثاني و من المهم جداً الآن أن تسارعي بفطم ابنتك و تتناولي ال ..مدام فريدة ... مدام فريدة ما بك ..أأنتِ بخير؟!
فقدت فريدة الوعي
جسدها الضعيف لم يتحمل و روحها أصبحت أكثر هشاشة من ذي قبل حتى أن أفكاراً بإجهاض الجنين راودتها إلا أن كلمات أمها المشجعة لها ثبتتها و بعد مرور عدة أيام من تلقي الأمر و إبلاغ زوجها به عادت روحها المحاربة لجسدها و بدأت رحلة تأثيث منزل الأحلام.

****

واحسرتاه على جُدُر و أسقف نعلق عليها أحلامنا و نتفنن في إنتقاء أرقى و أغلى المصابيح و نتوهم أنها ستكون سببا في إضاءة الغرف المظلمة بأرواحنا و لكن نور كالسراب لا يروي عطش تائه ساعة

الظهيرة الحارة. تفانيت و تفننت في تأسيس كل حجرة و ركن في هذا المنزل و لم أعي أن سوسةُ خبيثة تسري في الحياة نفسها .. لم أفهم أن الخواء بين البشر لا يملأه أثاث فخيم، سجاجيد إيرانية و مصابيح فرنسية.
كلما إزددت إتقانا و تفانيا كلما أزدادت الفجوة اتساعا و الحب استغلالا و العطاء اغتصابا.
من مذكرات فريدة

*****

أنتهت فريدة بعد حوالي ثماني أشهر من تأثيث البيت .. شهور من صراع في الشوارع و الأزقة .. مع العمال و المقاولين و التجار و وسائل المواصلات .. الأمر كان أشبه بمهمة إنتحارية و حملها يُثقلها يوما بعد يوم و لكن شفق شمس الغد المشرقة في قلبها الثائر ما كانت لتتركه.
أتى هيثم ليرى الإنجاز المبهر التي قامت به فريدة بمفردها و لم يصدق! كان مصدوما لما رأى .. مكانا من لا شيء أصبح بيتا فخيما راقيا دافئا.. مبهورا شكرها و احتضنها ليلة وصوله و رؤيته لما أنجزت و في الصباح قال لها : هيا آتيني بالإيصالات و الفواتير لكي أدرسها .. و بالفعل استجابت فريدة سعيدة بمنزل حبهما الذي يجمع بينها ..حتى أن سكرة سعادتها لم تنبهها للهجة اللوم التي يتكلم بها هيثم.. فهو يسألها لماذا لم توفري في هذا البند و في ذاك الامر و لكن لا شك أن لومه جاء مكتوماً و لم يرقى لأكثر من ذلك .
انتهت الإجازة سريعاً جداً و كان باقي لها شهراً و عدة أيام على الولادة فآثرت العودة لبلد إقامتها لتتابع مع نفس الطبيبة التي ولدت عندها أبنتها.. صحة أمها مترديةو أصبح من الصعب حركتها لمرض

أصاب مفاصل ركبتيها ..طمأنتها فريدة أنها ستدبر أمرها و عادت بأولادها و بدأت تقنع زوجها بخادمة تأتي لمساعدتها ..فقوتها تتضائل و أولادها في حاجة لمن يلبي طلباتهم و البيت زاد مجهوده و آلاماً تدق قيصيرتها السابقة خاصة أنها لم تسترح بين الولادتين.. و بعد عدة نقاشات وافق هيثم و كعادتها أمتنت له كثيراً ..

أوشك عيد الفطر و هي اعتادت أن تصنع حلوى العيد من كعك و بسكويت و غريبة تقريبا كل عام ..و لم ترد أن تخذل زوجها هذا العام و أن تُدخل الفرحة على صغارها .. و بدأت مراسم الإعداد و بالفعل بعد عدة أيام كانت الطاولة مزدانة ببالونات العيد و حلوياته و مأكولاته الشهية المتنوعة . كانت كلما رأت شبح إبتسامة على وجه هيثم أو نظرة رضا قدمت أضعاف ما تقدر عليه ...
دخلت المستشفى كحالة طارئة بعد أن أنهار جسدها و شعرت بأسفل بطنها و كأنه يتشقق و بعد ساعتين كانت تستفيق من غيبوبتها و تطمئن أن وليدها بالحضانة و بخير .. لتغيب عن الوعي مرة أخرى ! لم تشعر بحالة الذعر التي أصابت طاقم الأطباء و التمريض وهم في محاولاتهم لإفاقتها ..و بعد قليل أتى زوجها و على وجهه ارتسمت علامات الذعر الحقيقي و قد أبلغوه ما بها ...

******

بعد عدة فحوصات و تحاليل و رسومات إشعاعية ظهرت النتيجة ، لم أصدق و لكن لا أقول سوى إنا لله و إنا إليه راجعون ..!
من مذكرات فريدة

****

جائت أمها متعكزة على عصا و قلب يعتصر بوجع لا يحتويه إلا ربها.. إبنتها كقلبها الآن بين يدي الله و رحمته ..ولا أوجع و لا أقسى من قلب أم ترى ابنتها تتأرجح بين الحياة و الموت .. ابنتها التي تعلم أنها حلمت بالسعادة و الفرح يوما و حضن يدفيء لفحات الحياة الباردة و لم تنال ما حلمت ..إبنتها التي لم ترتوي بعد من أطفالها ,, و لكن ما يمكن أن تفعل؟! لو بمقدورها كانت نزعت روحها و باعتها لصغيرتها.. لو كان ممكن أن تشتري لها الفرحة و الصحة و السنوات لما ترددت و لكن ..

سرطان ..سرطان قاسي جدا ضرب بعظام جمجمة فريدة ! نوع نادر..خبيث يأكل من أيامها و لحظاتها و إزالته صارت حتماً في أسرع وقت ...

سعى زوجها في عمله و أستطاع أن يأخذ موافقة بتغطية التأمين الطبي لتكاليف علاج زوجته و سرعان ما كان يستخرج التأشيرات لبلد أوربي وقع عليه إختيارهم لعمل عملية إستئصال للورم.

بين الإغماء و اليقظة كانت تعيش فريدة يحتويها فراشها الذي أصبحت لا تفارقه ..و كلما أفاقت لترى زوجها أو أمها بجوارها تبتسم بحب و رضا كبير و في غمرة هذه اللحظات كان تتوسد صدر أمها التي ترقيها بآيات القرأن الكريم فقالت :أمي أتعلمي أنني كنت أحلم بقضاء شهر عسل بالبلد التي سأذهب لها للعملية.

انفجرت دموع أمها و ازدادت احتضانا لجسدها الضعيف و قالت لها سوف يكون لك شهر عسل حبيبتي .. والله أعلم أنه سيكون كذلك و أن الله لن يضيرني فيكي أبدا .

ابتسمت الصغيرة و دموع أمها تغسل وجهها و بحب صادق أجابت: أمي أحضري لي جهاز الكومبيوتر المتنقل ..أريد أن أستغل فترة إفاقتي تلك في مساعدة هيثم.

- تساعديه بماذا يا بنتي؟!!

- بأن أبحث عن كل ما يخص هذا البلد و أن أنظم عدة أماكن لنذهبها سوياً و لربما تعلمت بعض الكلمات الهامة التي تساعدنا ..فأنا من سابق قراءتي أعلم أنهم لا يتحدثون الإنجليزية بطلاقة .. و لعلنا نسرق من الزمن يومين يكونا لي ذكرى شهر عسل أنتظره منذ لحظة زواجي الأولى .. أنا واثقة أن هيثم يرغب في ذلك مثلي تماماً و أكثر.

حسيرة أمدتها أمها بالجهاز و بخاطرها فكرة واحدة تدور: ما زلتِ محاربة كما عهدتك يا فريدة .. حماكِ الله يا ابنتي ..

****

جلس هيثم بصالة المنزل و أنتظر أن تنتهي الدكتورة نهى من صلاتها ليبادرها بقوله : أنا متضايق جدا يا أمي

- خير يا حبيبي .. ما بك .. كفاك الله الشر

- فريدة يا أمي .. فريدة

- يا بني أعلمُ ما بك .. كلنا متألمون و لكن لا بد أن نتشجع أمامها فنحن مصدر قوتها بعد الله عز و جل

- لا يا أمي أنتي لم تفهمي ما عنيته.

حائرة و مترقبة أشارت بنظرتها و عينيها أن تكلم.

- فريدة لا تستغل أوقات إفاقتها بشكل جيد .. فهي لا تصلي كثيراً و لا تقرأ قران كما تفعلي أنتي .. بل كل ما يهمها الآن الحياة الدنيا.

- الحياة الدنيا !!! لفظتها بإستنكار كبير

- نعم يا أمي الحياة الدنيا ؛ فهي ما تنفك تبحث عن المطاعم و المعالم السياحية و التاريخية في البلد التي نحن لها ذاهبين.. و تعقد آمالاً على الإستمتاع في هذا المكان و لا تعي أنها قد تذهب و لا تعود .
انتفضت نهى و هي لا تعي ما يقول ..و لا كيف ترد عليه !!
عجيبة تلك المشاعر التي لا تُقدر الإنسانيات و تختبيء وراء ستار الدين و حب الله ! والله من هؤلاء براء.
- و بلهجة متفاجئة من غباء مشاعره و جفائها قالت : لا يا بُني .. هي ترغب أن تعيش معك أنت لحظات طيبة ودودة .. تخشى أن تجعلك في مزاج سيء بسبب مرضها و رقودها المستمر .. و هذا لا يعيبها أبداً ... فلعل رغبتها الصادقة في اسعادك تلك تكون سببا في دخولها الجنة
رد هيثم بجفاء أكبرأحرق قلب الأم على ابنتها غريرة المشاعر: لا يا أمي .. هذه ليست حجة.. الأولى لها أن تلتفت لربها قبل أن تلقاه!

****

و ياليت المشاعر تركه ليعرف كل ذي حق حقه
نزار قباني
****

سافرت فريدة و سافر معها أمل ودعاء كل من أحبها
و من الله عليها بنجاح باهر في العملية الجراحية و بعد حوالي شهراً و معاناة دهراً عادت لأحضان أمها و أولادها و زوجها
عادت لتبث الحياة بهجة و ضحكاً و أملاً فريداً ارتبط باسمها الفريد
عادت لتبدأ الخطة لرحلة علاجها الإشعاعي و لم يتوفر الأمر إلا بدولة أوروبية أخرى بشروط متعسرة جداً

شيئا ما يحيط بصمت زوجها .. شيء ما تشعر به و لا تفهمه.
- أتعلمي يا فريدة ..قال لي أحد أصدقائي أنه ليس من واجبك دفع مصاريف علاج زوجتك بمفردك بل على أهلها مساعدتك!
كانت فريدة تستمع للحوار من وراء جدار المطبخ الفاصل و لا تصدق ما يقول .. شيء ما خاطيء جداً فيما يحدث و لا تستطيع وصفه .. و لكن يوما بعد يوم و ليلة بعد ليلة بدات تلملم مفردات لغز كلام زوجها معها و مع أمها لتحل أحجيته..خاصة أنه كل ليلة يبثها كلاماً كالسم في قلبها .. كلاماً عن المسؤولية المادية و أنه غير مستعد لتكلفة العلاج و يخشى أن شركة التأمين الطبي لا تمده بالمبلغ اللازم خاصة بعد ما أمدوه بمبلغ العملية الجراحية و أنه من الافضل أن نرى حلولاً أفضل أو أو ..
حتى قالت بكبريائها الجريح : يبدو أني اشكل لك عبئاً كبيراً يا هيثم .. قاطعها متظاهراً أنها جرحته: ماذا !! لا لا أبداً .. أنا فقط أقول لك أن تبحثي عن خيارات أفضل و أنه إذا أمكن أن تساعدنا أمك بالمال و طبعا هي قادرة على ذلك و لن تتأخر علي أبنتها في محنتها .
و لكن لكرم الله بها تيسر الأمر مرة أخرى و تكفل التأمين الطبي بتكلفة العالج و لم يبقى سوى تكاليف الإقامة و السفر

****

- سآخذ الأولاد معي يا هيثم . قالتها فريدة بحسم قاطع
- ماذا؟؟ هل جننتي يا فريدة .. أتريدي أن نأخذ ثلاثة أطفال معنا في سفر بعيد كهذا لا نعلم فيه أي شيء!
- أمي مريضة و تحتاج من يخدمها و الرضيع يحتاج لعناية خاصة و لا أئتمن أي أحد على صغاري .. ثم يمكن لك أن تعتبرها نزهة عائلية صغير لمدة شهرين

- لا لا أوافق سوف آتي بأختي لتجالسهم في شقتنا .
-أختك !! إذا كان لا أنا و لا حتى أولادك رأينا أختك .. فكيف سوف تتعامل معهم .. و ما الذي يضيرك أن نأخذهم ؟؟!
- أنا لن أستطيع تحمل مسؤوليتك و مسؤولياتهم .. و قد يحملنا هذا تكاليف و مشاكل نحن في غنى عنها
- حسنا أنا أعفيك من أي مسؤولية تخصني فأنا قادرة على تحمل مسؤولية نفسي و الأولاد معنا نتشارك بمسؤولياتهم فهم بالأول و بالآخر أولادنا ..و لن أرمي أولادي مع أي أحد لمجرد عدم قدرتنا على التعاون لحل مسؤوليتهم.
و بالفعل أعدت فريدة كل ما أمكن لضمان سلامة أولادها في هذه الرحلة الطويلة و على متن طائرة تعبر بهما القارة همست بأذن زوجها تشكره على إستجابتها لرغبتها تطمئنه على أنها متكفلة بكل ما تستطيعه من مسؤولية و تمهيد للصعاب..

****

اكتشفت أن السرطان ليس في جسدي و لكن فيمن نرافق !

****

أكان يعاقبها أنها أماً لا يجرؤ قلبها على ترك صغارها لهذه المدة الطويلة دون رعاية تثق بها .. أم أنه يعاقبها على مرضها و ظروفه و ملابساته !!
قسوة منبعثة في كل تصرفاته و أقواله .. قسوة فاقت آلام علاجها الإشعاعي المقيت. فكل فعل تفعله و كل مشوار يجمعهم و كل إقتراح تقترحه لا يكاد ينتهي حتى يبدأ زوجها بوصلة مزعجة جدا و أحيانا مهينة من لومها و تقريعها بطريقة أو بأخرى .. كل وقته متجهماً عابساً غاضباً من شيء ما لا تعلمه و لا تفهمه و لا يصرح هو به

كانت كل ما عادت من جلستها أرتاحت فترة ثم تحاملت على نفسها و هي تبحث المواقع الإلكترونية المختلفة لتجد أماكن قريبة للتنزه... مشفقة على زوجها و أولادها من بقائهم بين جدران السكن الضيق وقت علاجها..تهم البحث و تسأل من معها من ممرضات و مساعدات بالمشفى فكلما دلوها على مكان كتبته بأجندتها لتبحث عن وسائل المواصلات المؤدية له و تحسب التكاليف و تخبر زوجها متلحفة بهدف إسعاد أسرتها و رسم الضحكة على وجوه زوجها و أطفالها متناسية آلامها و إرهاقها.

في إحدى هذه الأيام رأت تلفريكا بالمنتزه الذي ذهبوا له فصفقت بجذل كطفلة بعمر السادسة و قالت لزوجها : يااه .. أتدري يا هيثم أن واحدة من أحلامي كانت أن نركب سويا هذا التلفريك و لم اتوقع أبدا وجوده هنا الآن !!

قال بلهجته الباردة المعتادة ... ممم ... و لكننا لن نركبه يا فريده

غمزته ضاحكة غير منتبة لبروده : ما بك يا قلبي .. أتخاف من المرتفعات ؟

-لا أنا عندي عمل مهم الليلة عن طريق جهاز الحاسب الآلي و لا بد أن أنهيه.

بصرخة مكتومة عاجلته: أي عمل ..بالله عليك ..هذه فرصة لن تتكرر لن نأتي هنا كل يوم و نحن أصلا لا نذهب إلى أي مكان ..و ضمت يدها في توسل مستعطفة إياه : أرجوك يا هيثم هذا كان حلماً قديماً لي و أتمنى أن نحققه سويا .

تمطع بوقفته و أخذ نفسا عميقا وأخرجه قائلا: و أنا لم يكن حلمي أن أركب معك تلفريكا يا فريدة .. ثم إنني قلت لك أن عندي عملاً مهماً و لن أضيع وقتي بهذه الترهات الطفولية... هيا بنا.

في هذه الليلة أغتصب قلبها ألما و حزنا لم تستطع أبدا مداواته.
بعد أن ناموا جميعا ظلت ساهرة.. جالسة على المقعد المقابل لفراش زوجها الذي لم يقرب حاسوبه و لو لخمسة دقائق... و يتسائل عقلها :
من أنت؟ !
ما الذي فعلته لك سوى أنني أخترتك لتشاركني أحلامي و فرحي و حزني !
ما الذي حرمتك منه حتى تحرمني من إبتسامة حانية و ضمة مخلصة بين ذراعيك؟
من أنت؟!
مهما قدمت لك و مهما تقربت تنفيني لجزيرة غاضبة و تُعسف الحكم عليِ دون أن أفهم ما هي تهمتي ؟
هل ألعن قلبي الأبله لأنه تعلق بك .. أم ألعن عطائي الذي صور لك أنني رخيصة الثمن .. لا حق لي عندك !
يا ترى هل تتذكر ؟؟
هل تتذكر كل تلك اللحظات التي هزمتني فيها !
نظراتي ونبضات قلبي وأشواقي وأنت تطفئها واحدة تلو الأخرى ... مرة تلو المرة !!!
كلما حاولت الإقتراب منك والتقرب لك ... تبتعد عني ولا تلتفت
ما الذي تحاول إثباته ؟
ما الذي ستجنيه من قسوتك هذه وبثك للمرار كلما لاحت لحظة قد يكون بها أملا يجمع بيننا !!!
انا كنت لك أمة .. لم أطلب سوى إلتفاتك وإهتمامك .. أكان هذا معجزا لك !!
أم أنك ترى أني لا أستحق .. ! لا أستحق حبك وعطائك !!

إحذر حبيبي .... الخيط أصبح ضعيفا جدا ..
كل لحظة قادمة أصبحت تهدد كياننا وبيدك أن تطيب الجراح وتكفف الدموع .. هداك الله وأنار بصيرتك وقلبك .
مضت رحلة العلاج بخيرها و شرها و لكنها لم تعد كما ذهبت أبداً!
أصبحت فريدة في صمتها ، مكتومة الصدر ..
" لعل الله أمد بعمري حتى الآن لحكمة لا يعلمها إلا هو و لعله يعوضني بأولادي خيرا " ..
كانت هذه فكرتها المسيطرة على عقلها كل صباح ..
بدأت تفقد شغفها يوما بعد و تشابهت الأيام بنظرها .. خط الإكتئاب خطوطه على ملامحها الناعمة و ما عادت تجد متعة إلا بإكتشاف أطفالها و تلبية إحتياجاتهم ...
- من فضلك .. أنا محتاجة أزور أمي
- في مصر !!
- نعم بالتأكيد .
- و ما الدافع ؟
- أنا متعبة قليلا و أرى أيضاً أن الأطفال من وقت رجوعنا من رحلة العلاج منذ شهور طويلة لا مخرج لهم و لا منفذ فستكون هذه فرصة جيدة لإلحاقهم ببعض الأنشطة التعليمية و الترفيهية .
- و لكنني لن أدفع ثمن دخول الأولاد لحضانة لأنك لا تريدي القيام بمهمتك كأم .
- أي مهمة التي تتكلم عنها !! هذا أيضا من حق أولادك .. فلا جار هنا لهم و لا صديق .. ثم إن هذا واجبهم علينا.
- أنا قلتُ لكِ ما عندي .. لن أدفع هذا المبلغ و تصرفي أنتي
- أنا لا أعمل ..فكيف أتصرف؟

-لا يهمني .. بيعي أغراضك أو تسلفي من أمك ‘هذه مسؤوليتك طالما أنتي إخترتي..
و بعد عدة أيام كانت بين ذراعي أمها تبكي.
تبكي فشلها و نيرانها و إحساسها بالظلم ... تبكي بصمت من دون دموع..!

****

في اللا مبالاة فلسفة ... إنها صفة من صفات الأمل

محمود درويش

****

حاولت الإنخراط لفترة من الزمن في أنشطة إجتماعية و ثقافية و دينية مختلفة و حاولت وأد مشاعرها المستعرة تجاه زوجها الذي لم يتوقف في قذف لهيبه كلما هاتفها.. فكل مكالمة بشجار و كل رسالة بدمار..كأنه يصنع بيديه نعشا لهذا الزواج .. و نجح في ذلك.
نعش أسود أصيل احتضن علاقتهم و بابه يوشك على الإنغلاق .. لحظات الدفن أقتربت ..
- أمي أريدك أن تحضري في بيتنا فورا لو سمحتي لأننا نخطط للطلاق.! هيثم
كانت هذه رسالته النصية لأم زوجته بمنتصف الليل .. فحادثت فريدة فزعة مما وصلها.. و لكن فريدة لم تشفي قلبها بكلمات واضحة..
كانت مقتضبة ..بائسة ... لا مبالية .
كانت الرسالة على إثر مشاجرة عنيفة دبت بين فريدة و هيثم و هي الأولى من نوعها ... شجار بدأت تتكلم فيه فريدة عن قليل جد مما يجيش بصدرها من هموم و حسرات زرعها زوجها فيها طوال

سنوات الزواج.. و ما كادت تتكلم حتى أشعل الحوار ناراً و حسمه بقوله .. إذا كانت الحياة بشعة لهذه الدرجة فالأحسن لنا أن ننفصل.

*****

صمتتُ لأنني لا أشعر بمعنى لأي شيء .. ما معنى الزواج أو الطلاق فكلهم عندي الان سواء !

من مذكرات فريدة.

******

ابنتك غير مطيعة يا دكتورة .. لا تحترمني و لا تحترم وجودي بحياتها..عنيدة جداً .. تريد أن تُسير الكون على ما يترائى لها .. لا أرى منها إهتماماً و لا نظافة و لا نظام و لا حتى دين ..!!!

كتمت أمها غضبها محاولة أن تكون محايدة و هادئة بأكبر قدر ممكن أجابته : - يا بُني إن كنت تتكلم عن فريدة ابنتي .. فأعتقد أنك بدأت تجور عليها في كلامك .. فلقد حضرت بنفسي عدة حقبات زمنية في بيتكم و كانت بلا خادمة أو معاونة و كانت تقضي يومها في التنظيف و التنظيم مُبدية شؤونك على أي شيء في يومها و هو أمر تعلمته منذ أن كانت في بيت أبيها و ليس بجديد عليها أبداً.. و لقد رأيت منك تجاهلاً لها و إنشغالاً عنها و لكنني لم أتطرق للموضوع معك أو معها و مع ذلك وجدتها تحاول إرضائك بكل الطرق و لم تدخر وسيلة في ذلك.. ثم يا بني الزواج لا يكون أساسه النظافة و النظام أبداً ..فالخادمة يمكن أن تقوم لك بكل ما تريد من نظافة و نظام و غيرهما من أمور المنزل .. و لكن الزوجة هي سكن و وطن لزوجها ..أما عن أمر الدين فالله عز و جل يحاسبها على دينها و ما تؤمن به و ما تُقصر فيه و ما لك إلا النصيحة و الموعظة الحسنة .. أرجوك أن تذكر لي

موقفا رأيت من ابنتي فيه ما تصفها به و تأكد أنني سأكون لك منصفة كما أنصفتك و عاملتك بأول أمر زواجك من ابنتي .
- صدقيني أنا أقول لك الصدق
- حسناً اثبت لي ما تقول
- لا أتذكر شيئا الان
- هيثم.. ألم تتهم نفسك أبدا فيما تفعل؟!
- بل أتهم نفسي دائما و أصلح من أخطائي أولاً بأول و لكنها لا تفعل.
- حسنا و ما الذي تريده الآن ؟
أريدك أن تتكلمي معها .. فأنا لا أريد هدم البيت و تشتيت اولادي فمن الأفضل لها أن تستجيب .
- عجبت لأمرك يا بُني!! .. أنت الذي راسلتني و طلبت الطلاق و أنت الذي تتشكى و لا أستطيع أن أفهم منك موقفاً واضحاً يدل على ما تتهمها به..من الذي يهدم البيت الآن ولأسباب عجيبة لا شواهد لها؟!.. و مع ذلك ياهيثم .. أنا سأتكلم معها و ليُقدم الله ما فيه خيراً لكما ولأولادكما.

****

و في الألم لذة إلتجاء !

****

في بيت أبيها و على صالونه الذهبي ذو القشرة المُزيفة و بعد فترة صمت صاخبة أصابت نهى و ابنتها وسط حوار طويل .. قالت نهى: والله يا ابنتي لا أعلم ما الذي أنصحك به بعد كل ما حكيتي .. أنا حزينة جداً و لا أعلم أي طبع من البشر هو ..لكنني لم أعرف في حياتي سوى المعروف و الخير سلاحاً للتعامل مع كل البشر .. و لعله راجع نفسه في كل ما فعل و حان الوقت لتفتحا حواراً هادئاً بناء.. أنا

أخشى كثيرا جداً عليكِ من الطلاق و تبعاته و ويلاته ..خاصة ما تعانيه من حالتك الصحية الفقيرة .. و بنفس الوقت لا أعلم هل عودتك له مُقدرةٌ عنده و هل هو على إستعداد حقيقي ليُصلح الأمور أم لا؟

كانت فريدة متمددة على الأريكة يدندن عقلها لحناً فرنسي حزين .. لا تملك القدرة على التفكير أو الكلام.. و لكنها تعلم أن أمها متأثرة جداً وهذا يؤلمها لدرجة تفوق قدرتها على الرد... تنظر لأولادها يلعبون بجوارها و لا تدري بأي الطرق تسير...
لم تعتد الهزيمة و الإستسلام و لا تطيق العودة ..فكل يوم معه أصبح بمثابة إنتهاك لروحها و بقرارة نفسها تعلم أن لا شيء سيتغير .. ولكنها عندما تذكرت نظرة أولاده له و فرحتهم عند دخوله البيت لم يعد الأمر بيدها ولا القرار قرارها ..و بصوت خافت تائه قالت :
انصحيني يا أمي.. انصحيني و أمديني بالقوة كما عاهدتك تفعلي معي.. خُذي بيدي لبر ترسو فيه سفينتي.
- حاولي مرة أخرى يا بنتي .. اعطي له و لنفسك فرصة حقيقية .. ولعله الآن يفتح قلبه لك .. لا تستلمي .. و أيضا لعلك فعلاً غافلة عن أمور هو يفتقدها فيكِ فوسعي صدرك و عقلك لإستيعابه لأجل أولادك و لعلك تكرهي شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا.
*****
ويشهد الله أن هذا ما فعلتُ ..
أستخدمتُ كل حيلة و فن من فنون التودد و الكثير من التغافل .. لكنه لم يتغير ..بل ازداد بطشاً وأصبحت أوقات لقائنا أسباب افتراقنا .. لكنني اتخذت من الأنس بالله ملجأ لي .. كانت الفترة الأكثر ورعا و روعة في حياتي .. بدأت همومي في الذوبان كلما أستغرقت في قراءة

كتاب الله أو السهر لمناجاة ربي .. دعوت ربي أن يمدني بالقوة و الصبر لأعبر بأولادي بر الأمان .. توكلت على الله ربي و أعلم أنه من سيأخذ بيدي لبر طاهر بعيدا عن سفاهة و خداع الوجوه.
من مذكرات فريدة
****

و بعد مرور عام كامل على هذه الواقعة في ليلة هادئة و دون سابق إنذار تودد لها هيثم ومتحمساً قال : أنا فكرت و مقتنع جداً بذهابك لمصر .
- أجابته بدهشة ظاهرة :مصر!! الآن؟؟ لماذا؟
- بنفس الحماس و المرح قال :لكي نبدأ بالنزوح و الإستقرار هناك شيئا فشيئا ألم يكن هذا بالأساس إتفاقنا و سعينا و لذلك أشتريت الشقة.. أريد لأولادي أن ينشأوا في بيئة سليمة بعيدة عن الوحدة والإغتراب ..
- بنبرة حائرة حذرة قالت : و لكننا في منتصف العام الدراسي .. أعلم أن الأولاد مازالا في مرحلة الحضانة و لكن ما الداعي للتسرع بمثل هذا الأمر ؟
- أجابها و هو يتمدد على فراشه :الداعي أن يلحقا مدارس محترمة لهم مع بداية العام الجديد و لنبدأ رحلة الإستقرار..يكفينا غربة ..
- و لكنك تعلم أن منطقة سكننا مازالت غير مؤهلة تماما للسكنى وأخشى أن أكون وحيدة بالأولاد فيصيبني أي ظرف طاريء و لا أجد أحداً بجانبي.
- بثقة و دون تفكير أجابها : لا تخشي شيئا لقد فكرت في الأمر كله..و تابع حديثه دون أن يلاحظ جبهتها التي أرتفعت من فرط إندهاشها: سوف تبحثي عن شقة قريبة من مسكن والدتك لنستأجره و نضع به

القليل من الأثاث ثم نبحث عن مستأجر لشقتنا و بالتالي سوف نغطي مصاريف الإيجار و مصاريف الأثاث و تشتركي للأولاد بالمدارس و أنا ألحقكم في أول إجازة و أبدأ تدريجيا بالنزوح إلى مصر و أبدأ البحث عن مشروع مريح و الإستقرار فيها.

أحقيقة ما يقول ؟!! عجبا له .. كل ساعة بحال.

قالت منبهة إياه : و لكن ما تقول يعني أن مبالغ جديدة سوف تنفقها و مسارا جديدا نتخذه.
رد بنفس حماسه يشجعها على الفكرة .. أعلم أعلم .. و أنتي لكي رؤية أثق بها و بالتأكيد سوف ترشدينا لما له صالح بأسرتنا .. و إذا لم تتيسر الأمور لن نخسر شيئا .. سوف تعودي هنا و كأن شيئا لم يكن.

لم تستبشر بما يقول قلبها يُنبئها و ما عاهدت أصدق منه عراف! و لكنها عاهدت على السمع و الطاعة و الجهاد في سبيل إعطاء هذه الأسرة كل فرصة ممكنة ..
و كانت البداية ..
بداية النهاية.
****

أنا الذي آويتك بمنزلي !!
من رسائل هيثم لفريدة
و كأن الله يفتح أبواباً لتنغلق أمامها أبواباً أخرى .. و نحن جهلاء بعظمة الله و أقداره .
****

في قلبي زهرة لا يمكن لأحد أن يقطفها
فيكتور هيوجو
****

بتيسيير عجيب سارت كل الأمور .. وجدت شقة للإيجار بسعر خيالي بنفس الطابق التي تسكنه والدتها .. و أثثتها بأقل أثاث ممكن؛ حتى أنها تركت صالة الشقة عارية من أي أثاث حتى لا تُكلف زوجها فوق طاقته.. و ألتحق ابنها الأكبر بمدرسة راقية جدا و كانت تبذل معه مجهودا مضاعفا لتدريسه فهو في بيئة جديدة تماما عليه والمناهج التعليمية أكثر صعوبة من ما كانت في بلد إغترابهم..و أشركت الصغار بحضانة لتساعد على تأسيسهم للمدارس العام القادم .. لم تكن تتخذ خطوة دون الإتصال بزوجها و إبلاغه بما أنجزت فيصيح مهللا سعيدا بما حققت من خطوات تُبشر هذه الأسرة بمستقبل عائلي مُستقر و مُشرق
كانت المناوشات تحدث بينهما عبر الهاتف لكن الأمر لم يطول .. فبعد شهرين فقط من نزوحها لمصر و تأسيسها للبيت الجديد لحقها زوجها ليقضي إجازته و يتفقد أحوال رعاياه السكنية و التعليمية ويفتعل أكبر قدر ممكن من الخلافات و المُشاحنات!

كان يمارس نوعا جديدا من المشاجرات .. مشاجرات عنيفة و صادمة يضغط بها بشدة على فريدة و كأنه يختبر قوة إحتمالها و مدى صبرها.!
مر أسبوعان الإجازة بمرار كبير جداً و كأن قطاراً ضرب رأسها فلم تعد تفهم ما الذي يحدث حولها.. كيف يطلب إستقراراً و يدفعها لذلك و

بنفس الوقت يزيد من وطئة الخلافات بينهما و حدتها ! ما المقصود بكل ما يحدث!

فجأة أنتبهت.!
أنتبهت لتلك النظرة الماكرة المُخبأة في عينيه يوم سفره !
هو بالفعل يتعمد ذلك و يسعى جاهداً للوصول إليه.
هناك نية مبيته بأن يقذفها في عرض البحر و يثقب المركب و يفر تحت ستار حجج واهية مُختلقة.
و تعرت الحقيقة بكامل قباحتها أمام عينيها .. هذه كانت خطة محكمة منذ أن أقنعها أنه حريص على الإستقرار العائلي المزعوم.
و ما إن حطت قدماه أرض عمله حتى بدأ البث..!
بثٌ صادمٌ غادر شرير.
أرسل لها أغنية ..
أول أغنية يهديها لها منذ زواجهما يبلغها بها أنه استكفى من الحياة معها و أنه عاش طوال عمره في عذاب و أعقب ذلك بسيل من الرسائل القبيحة بشتائم و سباب .. لم يكتف بإهانتها فقط بل انفلت عياره و تابعه بسباب لأمها وأبيها و أهلها كلهم !
قال: أنا الذي آويتك ببيتي و أنفقت عليكي .. أنا تحملت مرضك و نفقاتك و تحملت كل مساوئك .. لم أرى معكِ خيراً قط .. لم تسعديني يوما أو تحرصي عليا أو على ما يهمني.. اذهبي غير مأسوف عليكي.
مادت بها الدنيا ... كانت تستشعر النهاية و لكنها لم تتوقعها أبدا نهاية قبيحة كهذه ..

أجابته غير مستوعبة : ما المقصود ب (اذهبي) ؟ إذا نويت طلاقي فلو سمحت لا يصح هذا الأسلوب .. لا يجوز لك التهاون في مثل هذا الأمر بهذه الكلمات الغير واضحة

-لا لن أطلقك و أذهبي للمحاكم إن أردتي

- و ماذا عن الأولاد و إحتياجتهم و طلباتهم ؟

- لن أدفع لك شيئا .. و لن أدفع إيجار الشقة و اذهبي لأمك دعيها تنفق عليكِ لا شيء لك عندي سوى الحذاء!

ظنت أنه غاضبا من شيئا في عمله أو لعله ناقم عليها لسبب أو لاخر لا تعلمه هي كما كان عهدها به طوال سنوات زواجها.. انتظرت و انتظرت و انتظرت... أرسلت له عدة رسائل و تسجيلات صوتية ترجوه ألا يظلم الأولاد و إن كان قد نوى الفراق فليكون بالإحسان الذي أوصى به الله في كتابه الكريم.

و لكنه بالفعل نفذ تهديده و توقف عن إرسال النفقات الأولاد و إيجار المسكن .. ذهبت لتقيم بشقتهم الأصلية لتثبت حقها بسكنها و لتتخفف من أعباء الإيجار إلا أنه كان قد أستبدل القفل و لم يعد باستطاعتها دخولها!

وكأن السماء أنطبقت على رأسها .. ففي أسوأ كوابيسها لم تكن تتخيل أبداً أنه يحمل هذا الوجه القبيح !! أو لعله كان يحمله و لكن أراد الله أن يزيل غشاوة قلبها و عينها.

عَلِم رجال العائلة ما أصاب فريدة عن طريق والدتها و تدخلوا للإصلاح و لفهم الموقف و لمحاولات لإنقاذ بيتا يوشك على الإنهيار.. و لكن محاولاتهم جميعها باءت بالفشل .. و ما زادته إلا تهرباً و عناداً.

و بدأت تُعلن لفحات المجتمع عن لهيبها المستعر .. الذي لا يرحم و لا يقر بحق لضعيف أو لإمرأة، ما وطئت مجلسا أو جائها إتصالاً إلا ترددت فيه تلك العبارات السفيهة:

****

ألم يكن يأتي لكِ بطعام و شراب.. إذا هو يحبك طبعا !

****

لا لا .. أنتي مخطئة يا حبيبتي .. المرأة هي التي تتنازل و تصبر و تتحمل حتى لو (طفحت) الذُل.

****

يا حبيبتي ضل راجل و لا ضل حائط.

****

لن تصمدي بأولادك خاصة أنك (لا مؤاخذة) مريضة.

****

أوف.... طلاقا ثانيا !! (بلاش) فضائح و تحملي مهما يكن لأجل أولادك.

****

أختي في الله اتق الله فهو ليس بسارق و لا بزان و لا بشارب للخمر

****

سبع سنوات زواج و ثلاثة أطفال .. أجننتي .. حتى لو كان يصبحك (بعلقة) و يمسيكي (بعلقة) ضعي حذاء في فمك و تحملي

****

مسم .. ياعيني على بختك المائل .. زواجتان فاشلتان و ثلاثة أطفال و مرض.. أين كان مخبئا لكي كل هذا.

****

ألا تعلمي أن فلانة جارتنا يضربها زوجها بجنون و مع ذلك هي صابرة و تتحمل و لا تستطيع التخلي عن بيتها ابداً.

****

حبيبتي ما بكم هو عمل سفلي في طبقة الأرض الرابعة و المارد اسمه (جلال) و أعلم رجلا (بتاع) ربنا سينجيكي و يصل للعمل و يدمره.

****

و ماذا ستفعلي يا مسكينة .. أنتي بلا مدخرات و شهادتك لا قيمة لها في سوق العمل دون خبرة ..فماذا تنتوي؟

****

و بعد هذا العُمر سوف تصبحي حملا على أمك ؟! إذا كانت أمك نفسها بحاجة لمن يراعيها و يتحمل عبئها؟

****

لا لا .. أنا لم أرى جيلاً مدللاً مثل هذا الجيل .. أين أيام زمان .. أيام سي السيد و الست أمينة ..الله يرحم.

******

مسم ... هذه أفعال رجل متزوج على زوجته أو في طريقه لذلك..أسألوني أنا الخبرة.

****

آنا آسف يا مدام فريدة أن أُبلغك أن الورم إزداد نسبيا عن آخر منطقة كان محاصرا فيها و رأسك يعاني من إلتهابات شديدة و نحتاج أن نبدأ علاجا مكثفا.

****

دفعت من أيامي و إخلاصي وولائي لإمرأ أول ما باع باعني !

أنظر إلى عيون أبنائي المكلومة و سؤالهم المحموم عن أبيهم فما أزداد إلا قهرا .. ما ذنب هؤلاء ؟!
يا لغبائك و لظلام بصرك و بصيرتك.. هُم منك و لك .. أفهانوا عليك؟ أنت تمنع حقوقهم فيك و منك و لا أفهم سببا و لا أرى لك حجة ؟!
و لكن لو كان الثمن هو عمري .. فوالله لن أعاود الكرة و لسوف أشتري نفسي مهما كان الثمن و لن أعرض نفسي و لا أولادي لمثل هذه المذلة.
و تباً لمجتمع مريض يتغنى بالأصول و الدين و الحقوق ثم ينهش هذه الحقوق واحداً تلو الآخر.
من مذكرات فريدة
****

بين مؤيد و معارض ؛ وكلت فريدة محامي العائلة و رفعت عدة قضايا للنفقة و الطلاق .. نعم المزيد من التكاليف و لكن ما العمل ! كل رسالة تصل منه أسوأ من قبلها و لا يتراجع عن موقفه و الأدهى أنها علمت عن طريق جارتها أنه جاء لقضاء العيد في مسكن الزوجية و لكنه لم يأتي لأولاده أو يسأل عنهم!
****

قال لها ولدها : أنا أحتاج أبي.
حاولت التماسك أمامه و إحتوائه قائلة : إحكي لي حبيبي ما يدور بخلدك و ما تريد.
-يا أمي أنا أحتاج لأب يأخذني معه لصلاة الجمعة و يأتي ليتكلم مع المُعلم في المدرسة و أشكي له أصدقائي...أنا أعلم أن أبي أحزنك كثيرا و أبكاك أكثر و لكن لدي خطة.

أومأت رأسها مبتسمة بإشفاق ليتابع قائلا: أنتي حدثيه و قولي له أنك سوف تُرسلي له مالاً لكي يأتي و يقضي معنا بعض الوقت و ربما يُحبك وقتها و لا يُبكيكِ كما بفعل.
شرختها الكلمة و هرست فؤادها!!
جسدها ينتفض بشدة و دموعها منفجرة و لا تستطيع الرد..
****
آسف جدا يا مدام فريدة أنتي تفقدي السمع تدريجيا في الأذن اليمنى علت إبتسامة راضية شفاهها و أجابته: الحمد لله يا دكتور ؛ ما زلت أمتلك الأذن اليسرى.
****
كانت أمها تغطي كل نفقاتها هي و أولادها ..مقهورة من نظرة أبنتها الكسيرة و هي تأخذ منها المال و لا تجد حلاً سوى دعائها جوف كل ليلة ليجبر الله بخاطر فريدتها التي رأت من العذاب ألوان.
بدأت فريدة في بيع ما تستطيعه من أثاث المنزل الخالي أصلا من الأثاث .. و باعت كل قطعة ذهبية تملكها و بدأت تبحث عن عمل كالمجاذيب بكل مكان .. سنوات انقضت منذ آخر عمل عملته في مجالها و اليوم تحتاج لمعجزة ليتم قبولها بأي مكان نظامي .. تم رفضها مرات و مرات .. أصبحت ترهب كل شيء و أي شيء .. ماذا لو لم تجد عملاً ؟! هل ستعيش على الإستدانة من أمها و لربما يحن عليها بعضا من أفراد عائلتها و يبدأوا في جمع بعض التبرعات لها !! بنت الحسب و النسب التي كان يخدمها الخدم و الحشم .. اليوم تسهر الليل تبحث عن عمل مهما بلغ من حقارته .
تقضي ليلها تُفكر في.. أي وجبة قادمة سوف تضحي بها لتتمكن من توفير عدة قروش مبهمة .

في هذه الأثناء بدأت آلاماً حارقة تغزو رأسها و جسدها كله و تيقن قلبها الأمر.
إنه ذاك اللعين..
و أي وقت أكثر مناسبة من الآن ليعبث بها.
و وصلتها التقارير الطبية التي تؤكد ما أستيقنته بقلبها.. الورم يحاول شق طريقه مجدداً وسط خلايا جسدها المُضطرب مُستغلا ألمها النفسي و ضعف مناعتها ليعبث من جديد .
و احتارت كثيراً .. أتخبر أمها و أحبتها؟و لكن ما قيمة تحميلهم هما فوق همومهم! و تخشى كثيرا أن يصل الخبر لزوجها فيظن أنها تستجديه ليراجعها أو أنها تستجدي نفقته عليها ..
بداخلها طفلة تصرخ بخوف و إحتياج .. أريد أمي و أبي ،،أريد أحضانا دافئة تغمرني بحب و حنان حتى آخر أنفاسي.. هي الان هشة لدرجة مفزعة و لا لومٌ عليها .
******
و كأن زلزالا ضربني فأطاح بي و إذ به أخر ساجدة أبكي و أستغيث بربي من كل ما بي من ألم و كرب و عجز ... فلا منجا و لا ملجأ من الله إلا إليه.
اللهم أخرجني من حولي و قوتي إلى حولك و قوتك. فانت أرحم بي من نفسي اللهم انصرني و استرني و اجبرني .. و كأن غطاءاً دافئاً أحاط بقلبي و هدأت أنفاسي و دموعي و صرت أستغفر الله العظيم على سوء ظني و على كل نعمة أنعم الله بها علي و تناسيتها في خضم أمواج الأسى و الحزن. و أستيقظت صباحاً و أنا أعلم وجهتي و لم يعد بقلبي شك أو خوف .

من مذكرات فريدة.
****

كان تيار الأهل و الأقارب جارفاً .. كلماتهم المُثبطة تتشكل فتصنع حاجزاً بين العقل و التفكير السليم .. كصباحٍ أصابته شبورة من الغيم فشوهت رؤية السائقين

بليلة ثقيلة ولهجة كسيرة قالت لها أمها : يا ابنتي لعل كلام أهلك و أصدقائك صحيحاً؛ حاولي أن تحافظي على البيت تحت أي مُسمى .. فالأولاد بحاجة لأبيهم و لأن يكونوا ببيئة سليمة .. ثم لعله ينصلح حاله و يتعلم من أخطائه ..و البيوت كلها مُغلقة على ما لا يعلمه سوى الله..لكن حرام والله أن يُهدم بيتا هكذا.

نظرت لها فريدة بعيون نحرها الحزن و بتنهيدة حسيرة ساخرة قالت: أي بيت يا أمي ؟؟!

هل يمكن لحياة كاملة أن نختذلها في جدران و قطع أثاث؟!، كم من بيت أسستُ و لكن العيب في الصحبة المريضة ..ليتني وعيت الأمر منذ أول يوم لي معه..

و هل كنت أبحث بزواجي منه عن البيوت و المال و السفر كل ما طلبته هو الأمان ... كنت أرغب برجلاً حقيقياً يربت على جرحي و يطربني بكلمة ناعمة .

أي بيت و الأمان تم إغتصابه بهذه الوحشية .. لقد رضيت بكل شيء منذ اليوم الأول على أمل أن يُقدرني و يبادلني القليل ..فقط القليل من المشاعر.

بدأت دموعها تنساب بهدوء .. دموعا تروي قصة كبيسة و تسيل في مجرى حُفِرَ على وجنتيها من كثرة ليالي البكاء .. و بنفس هدوئها تابعت : أين الرحمة فيما فعل !؟ و أين الأمان في قلب لم يرحم !؟ قلبا

لم يراعي في الله إلاً و لا ذمة!! لم يراعي مرضاً و لا طفلاً ..قلباً أعماه غضبه أو حقده أو شهوته ..عقلاً مظلماً لا يفهم سوى العناد و كسرة القلوب.
تقول لي هذه و تلك أحمدي الله أنه لم يضربك؟؟! بل هو طعنني .. طعنني في أول أيامي و لكنني كنت اتعامل بحسن نية و صفاء قلب لا يعلمهما سوى الله .
طعنني في قلبي و سلامي و إيماني .
لقد أذل كرامتي و قهرني .. ظن أنه قادرا لأنه رجلا و يملك المال .. والله ما رزقه الله بهذا المال إلا ليُنفقه على أولاده و سوف يحرمه منه قريباً..
قاطعتها أمها خائفة : لا يا بنتي لا ... لم أعهد بقلبك حقداً و لا سواداً.. قلبك من يوم أن وعيتك رائقا فريدا حنونا .. و أكبر خسارة أن تخسري نفسك
بنحيب أجابت :بالله عليكي يا أمي قولي لي أنتي كيف ؟؟ كيف أحافظ على سلامي و كل ما يبثه لي العالم سموما .. كل ما تفانيت و أعطيت أجد الرد عقابا أليما.. كان أبي رحمه الله معه حق.. هو أعتبرني رخيصة .. و أعتبركم سفهاء أو أنكم تتخلصون من بلوى عندكم لم يُقدر شيئا... كان لابد أن نقصم ظهره بطلبات الزواج و المهور و الأفراح و الثياب ... لأن كرم أخلاقنا فهمه أنه رخصاً منا و بلاهة ... أو ...أو

أو لعله ظن أنني قد أتكلف مزيداً من المال للعلاج فأراد المسارعة بالتخلص مني قبل أن يتورط في شيء ... و لكن ما ذنب أبناءه!!

و علا صوتها بصراخ محترقا بألمها مكتويا بدموعها : هو حتى لم يُراعي الخبز الذي اقتسمناه .. ألم يتذكر أي لحظة طيبة جمعتنا ... يوم ولادتي لأولاده ..أو يوم أن أنهيت له تشطيبات شقته الذي طردنا منها بدم بارد!

ينام متلحفاً و مالئاً بطنه بالطعام و لم يسأل ما حل بأولاده في صيف حارق أو بارد قارص.. هل شَبعوا أم باتوا ليلهم جوعى ؟ هل منهم أحد مريض !! لم يسأل عن فلذات أكباده .. و تقول لي البيت!!!

تخبط بقبضتها على قلبها الكسير و هي تتابع :

كبدي يحترق من حسرتي على إحساس ولدي... هو على إستعداد أن يشتري أباه بالمال و أبوه باعه دون سبب معلوم و لا حجة مقبولة. أبٌ قضى أيام العيد بين جدران شقته يحميها و ترك أولاده يتطلعون لكل أب في لمة العيد

كيف أئتمن إمرأ ألقى بنا في قارعة الطريق و راح !! لقد كنت راضية و صامتة و لم أطالب لنفسي شيئا كما تفعل النساء ..كنت أستحي أن أطلب ملابسا أو زينة و بعد هذه السنوات يقول لي أنا الذي آويتك بمنزلي و أنفقت عليكي .. و لن أكون رجلاً إلا إذا جعلتك تُقبلي حذائي !!

العطاء و البذل صفات لا تُشترى بمال قارون .. أن تكون صادقاً و أميناً على العهود و المواثيق هذه طبائع و أخلاق .. و لو كانت الأخلاق تُشترى لكانت أغنى الدول أكثرهم خلقا و فضلا..

و إذا كانت الرجولة تعني العطاء و الإحتواء و التفهم و القيادة فليس كل ذكر رجل و لا كل رجل ذكر.

التصرفات و الأفعال و المواقف هي التي تحكم على الشخص .. فكم من إمرأة تعادل قبيلة من الرجال في حكمتها و تحملها و عطائها في صمت راقي و بكبرياء المرأة العزيز.
و كم رجل باسم رجولته أضاع حقوقا و هتك حُرمات و قهر مساكين ! أي مجتمع هذا الذي يفرض على المرأة ان ترضخ و تكتم صرخاتها و أن تداري آلامها و تتعرى من إنسانيتها و إلا إتُهِمَت بالبذاءة و الفشل و سوء السير و السلوك..
أما الرجل ..فكفى أنه رجلا!! هذه الكلمة كفيلة بتحصينه و تقديسه مهما عانى من غباء و عابه من خلق و مذمة !
وصفها سيد الخلق صلى الله عليه و سلم ب (القوارير) والقارورة لامعة هشة .. رقيقة تحتاج للمسات رقيقة جداً من صاحبها لتزداد بريقاً و إشعاعاً .. و لكن منهم من ظَن أنه بكسره للقارورة و لملمة زجاجها أنها لن تقدرعلى الصراخ أو الشكوى.
هو كسرني و ذبحني بسكين بارد و أنتظر حتى تخمد حركتي
يا أمي الزواج بما يحمل من مسؤوليات و آلام إلا أنه بناء قوي صادق يحتوي هذه الآلام ...يحتوي نبض قلبين جمعهما الله بكلمته..أما زواجاً بلا مودة و لا رحمة و لا عِزة فلا حاجة لي به.
والله ما أردانا و لا أوصلنا إلى هنا إلا نحن النساء..
بإستنكار قلبت يديها متابعة حديثها في تساؤل محموم : ما بنا .. أي غباء هذا الذي نعيش به..من أقنعنا أن المذلة و إهانة الكرامة سببا في السعادة !! من قال أن المراة سترها بزواجها و نجاتها بزواجها و سعادتها بزواجها ...طيب و إذا كان الزوج أحمقاً أخرقاً ..لا يعلم من دينه و لا دنيته سوى أنه محسوبا علينا رجلاً!! إذا كان هؤلاء الأزواج سببا في خراب البيوت و تشتيت الأسر و تعذيب الأطفال ..إذا كان هذا

الزوج لا يعطي و لا يفهم ولا يحتوي و لا ..و لا ..و لا... فوالله خيرا لكل فتاة أن تتغنى بوحدتها مُطلقة لأحلامها العنان بدلا من أن تدفن أحلامها تلك مع بقايا كرامتها و إنسانيتها.

جلست على الأرض منهكة و هي تضم رأسها بكفيها متابعة بحسرتها: تعالي آخذك لمحكمة الأسرة و أروقتها لتري العجب العُجاب من الحكايات و المآسي.. دعيني أقوم برحلة إليها لكل فرد من أفراد عائلتنا الكرام الراقيين الذين يقولوا تحملي و اصبري..!!!

أتحمل ماذا و لماذا ؟؟!

أأتحمل حتى أصير قاتلة أو مقتولة؟!

أتحمل حتى ينتهي بي الحال شبحاً أحمقاً يحافظ على صورة شاحبة في سبيل إرضاء مجتمع مريض متعفن!

مجتمع أوهمنا أننا في حرب دائمة ..فلقب العنوسة و الطلاق يجثمان على عقولنا المظلمة و لا بد التخلص منهما و إلا خَتمنا ختم المذلة و النقصان..لكن لا بد أن أكون زوجة ..حتى لو كنت مدفونة بالحياة

في حيرة تتسائل : اخبريني ا امي ما الفارق بين زواجي الأول والثاني!! في أول كانت قضبان ببيت تحبسني وفي زواجي الثاني مشاعر الإجتياح وفقد الحب تحبسني وهما وقهرا ,أنا لا أقول أني لم أرى منه خيرا قط .. بل في كل موقف طيب منه كنت أبالغ في شكري له وكل كلمة طيبة كنت أقدسها ...ولكن لم أحظى بأي صديق أو عطاء حقيقي .. كان يراهن على حبي له أو تعلقي به .. راهن على أول شيء خسره معي : قلبي !

قلبي الذي عاهد الله على إسعاده وإشتراه بكل ما يملك .. قلبي الذي مزق نياطه وقطع أوتاره تلو الليلة وهو يظن أنه يمارس حق الرجولة والإمتلاك ...

واحسرتاه على رجال امتلكوا أجساد وأضاعُ القلوب والسكينة ثم تشدقُ لنا بالدين وبالنصوص دون علم ولا فهم .
لقد كنت له أمة ولكنه لم يكن لي عبدا .. بل كان سيدا ... سيدا قاسيا جافا حتى لم يعاملني معاملة الايماء ولا العشيقة ....
و بتحدى مسحت دموعها و قطبت جبينها و أردفت : لا يا أمي .. لن أعود لو كان آخر يوما بعمري .. و الله كفيل بي و بأولادي فهو لن يضيعنا .. لكنني لن أقبل المذلة و القهر تحت إسم الزواج الكاذب والرجولة المنقوصة.. مهما كان الثمن.

****

لحناً فرنسي الرنين
لحناً كأيامي حزين
نزار قباني

****

أرجوحة في الهواء الطلق مُطلة على البحر ترتفع بي للأفق لألامس بقدماي غروب الشمس .. و أعود لتخفق كل ذراتي و خلاياي لأداعب ذرات الرمال و أنثرها بأطراف اصابعي..
أصعد و أهبط بقوة و عنفوان مرات و مرات حتى تحين لحظة أنفصل فيها عن الأرض و السماء و أظل معلقة بينهم.
تُحلق أنفاسي لأستنشق هواء من طبقة جديدة..
بين السماء و الأرض .
أطير في سعادة طفلة...طفلة يتراقص معها ثوبها في غنج مشاركاً إياها المرح.. وأركل بساقي الهواء إحتفاء بالتحرير
تغار مني أمواج البحر فتزداد قوة ضرباتها و جنونها.. لتزيدني سعادة و قوة ناثرة رذاذها ليُقبل وجهي في رقة و حنان

لا أسمع صوتاً و لا مؤثراً سوى هدير الموج و آهات قلبي و ترانيمه الشجية
تغار مني السماء و سُحُبها الماضية ..فتمطرني بقطراتها الناعمة لتزيدني سلاماً و تمازجاً.
أنا البحر..أنا الأرض... أنا السماء
أصبحنا كيانا واحدا و قلبي قائد هذه السيمفونية الأسطورية.
أين ذهبت آلامي و المخاوف..؟ و ماضي الأحزان و الهموم!؟
ذاب كل شيء و أصبحت أحلامي مطبوعة على صفحات البحار و قطرات الموج...منقوشة في السماء و على الأرض
أذلك هو قلبي الذي كان يحرقني بنبضاته الكئيبة المتثاقلة هو نفسه الآن من يترنم بأحلام السعادة و السلام..
نعم هذا هو السلام ..
لن أستسلم.

آخر ورقة بمذكرات فريدة

****

سيداتي آنستي سادتي ... اليوم يُشرفنا و يسعدنا أن يكون معنا بمؤتمرنا الجامعي الثالث الدكتورة فريدة فاضل مختار أستاذ قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب .. و تناقشنا اليوم عن تأثير الأدب في تهذيب النفس البشرية كما تقدم دراسة مقارنة عن الأدب في القرن السادس عشر و الألفية الحالية.
دخلت فريدة بقامتها الفارعة و إبتسامتها الخجول القاعة وسط جموع الطلاب و صوت تصفيقهم الحار .. هي نفس فريدة الرقيقة .. فريدة التي لا تستسلم لقهر غاشم أو ضعف مُذل

فريدة التي ناضلت حتى نالت طلاقها و حرصت على علاقة أولادها الكاملة بأبيهم حرصا على سلامهم النفسي.
فريدة التي قاومت المرض و الظروف و استعانت بربها حتى وقفت على قدمين من نجاح و تقدم.
وبعد سنوات قلائل جداً أصبحت منارة من منارات الأمل و الإلهام في بلدها
كرمها الله من فوق السبع سموات قبل أن يكرمها بشر و هي لن تكون أقل من هذا التكريم ..مهما كلفها الأمر.. و بصوت هاديء مخترقا عقول المُدرج قالت:
السجن قد يكون قضباناً حديدياً أو قبواً تحت الأرض.. و لكننا قد نعيش خارج هذه القضبان و الأقبية سجناء أيضا.. السجن هو فكرة و قبول لهذه الفكرة ..أن ترضى أن تُسجن و تُعذب و تُنتهك آدميتك و إنسانيتك تحت أي مُسمى
أسمحوا لي أن أبدأ كلامي بإقتباس قولاً عظيماً للأديب و الروائي الفرنسي فيكتور هيوجو
تنفست بعمق و بصوت يفيض بالذكريات و التجارب و الأمل بعد طول ألم و أوجاع قالت :
حرروا الحرية ... و الحرية تقوم بالباقي

انتهى